الفصل الرابع

صاحب المعجزات الباهرة

● المعجزة .. والكرامة :

المعجزة - فى أصل معناها اللغوى - مشتقة من العجز ، وهو عدم القدرة على أمر من الأمور .، ويطلقها علماء الشريعة على الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله تعالى على يد نبى مرسل ، لتقوم دليلاً على صدق دعوته ، وبرهاناً على حقية رسالته .

ولقد جرت سُنَّة الله سبحانه : أن يؤيد كل رسول من رسله بمعجزة خارقة للعادة ، وخارجة عن حدود المألوف للناس ، حتى يحمل المعاندين المكابرين على الإيمان بهم ، والإذعان لهم ، والتسليم بكل ما جاءوا به من هداية وإرشاد .

كان النبى يُبعث فى قومه فيصدع بالدعوة إلى الله ، فيستجيب له مَن شرح الله صدره لدعوته ، ويكذِّب به مَن جعلوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا صيحة السماء التى تنادى عليهم : أن هبوا من رقدتكم ، وأفيقوا من غفلتكم ، وتحرروا من قيود شهواتكم وأهوائكم .

ويتماذى المكذِّبون فى المكابرة والعناد ، فإذا بهم يرمون أنبياءهم - بعد الكذب - بالسحر تارة وبالجنون أخرى .

قالوا كل ذلك وأكثر منه فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وطالبوهم بالآيات الدالات على صدق رسالاتهم . فما كان من الأنبياء إلا أن لجأوا إلى الله سبحانه ، يطلبون منه أن يؤيدهم بالآيات من عنده ، فاستجاب لهم ربهم ، وأظهر على أيديهم من المعجزات ما يشهد لهم بصدق دعوتهم .

وتحدى الأنبياء أقوامهم أن يأتوا بمثل ما أتى الله به على أيديهم من خوارق العادات ، فعجزوا كل العجز . وكان نتيجة ذلك أن آمن بهم العقلاء ، واستمر متشبثاً بالكفر الحمقى من الجهلاء والسفهاء !!

وشاءت حكمة الله تعالى أن تكون معجزة كل نبى من جنس ما برع فيه قومه ، لتكون أبلغ فى التحدى ، وليكون العجز عن معارضتها أبلغ فى الدلالة على كونها آية من عند الله على صدق مَن ظهرت على يده من الأنبياء .

ومن شرط المعجزة أن تكون مبنية على الظهور والإعلان ، لأنها حُجَّة الأنبياء على دعوى النبوة ، فلا بد من إظهارها وإعلانها صريحة جلية أمام المكذِّبين الجاحدين حتى يسلموا لأنبيائهم ويدخلوا فى دينهم . كما يجوز أن تقع بجميع خوارق العادات ، مهما بدت هذه الخوارق غريبة ومستبعدة .

ومن أدلتها فى القرآن الكريم قوله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (١) .

وقوله على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (٢) .

وقوله عن الرسول الخاتم ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٣) .

ولقد كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة والباقية إلى يوم القيامة لنبينا صلى الله عليه وسلم ، يقول تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ

---

(١) الأعراف : ١٠٧ - ١٠٨ (٢) آل عمران : ٤٩ (٣) الإسراء : ١

عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) .

أما الكرامة .. فهى أمر خارق للعادة أيضاً - بَيْدَ أنه غير مقرون بدعوى النبوة - يظهره اللّه تعالى على يد عبد صالح ، متحل بهَدْى النبى ﷺ ، عامل بأحكام الشريعة المطهرة ، ومتأدب بآدابها فى اعتقاده وقوله وعمله ، وهى - شأنها شأن المعجزة - ثابتة عند جماهير العلماء خَلَفاً وسَلَفاً .

ولا يُشترط فى الكرامة الظهور والإعلان ، لأنها مبنية على الإخفاء والإسرار ، وما يظهر منها لا يكون عن قصد الولى أو إدعاءً منه للكرامة ، فكثيراً ما تظهر الكرامة على يد ولى فيشعر بها مَن حوله دون أن يشعر هو بها . ولو أن ولياً ادعى لنفسه الكرامة على اللّه حتى إنه ليطلب منه الأمر الخارق للعادة فيُجاب إليه ، لخرج من عداد الأولياء ، ولعُدَّ فى زمرة الأفاكين والأدعياء .

كما أن الكرامة تختص ببعض خوارق العادات دون بعض ، فهى تتعلق - عادة - بالخوارق التى لا تبلغ حد المعجزة فى الغرابة والاستبعاد .

ويقول الإمام القشيرى فى الرسالة القشيرية : « ظهور الكرامات على الأولياء جائز ، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه فى العقل ، لا يؤدى حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده ، وإذا وجب كونه مقدوراً للّه سبحانه فلا شئ يمنع جواز حصوله .

وظهور الكرامات علامة صدق مَن ظهرت عليه فى أحواله . فمَن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز . والذى يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرِّق بين مَن كان صادقاً فى أحواله وبين مَن هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولى بما لا يوجد مع المفترى فى دعواه ، وذلك الأمر هو الكرامة التى أشرنا إليها .

---

(١) الإسراء : ٨٨

ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة فى أيام التكليف ، ظاهراً على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه فى حاله » ا . هـ .

ومن أدلة الكرامة ، ما ذكره الله تعالى فى شأن مريم ابنة عمران ، قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً ، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا ، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

يقول الإمام القرطبى : كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى القيظ ، وفاكهة القيظ فى الشتاء .

ويقول جلّ شأنه : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً ﴾ (٢) .

قيل : كان جذع النخلة يابساً ، وقيل : كانت نخلة مثمرة .

والصحيح : أن النخلة لم تكن مثمرة إذ ذاك ، لأن ميلاد المسيح عليه السلام كان فى زمن الشتاء ، وليس ذاك وقت ثمر النخل ، ويفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان : ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً ﴾ .

ومن الأدلة على وقوع الكرامة : ما أكرم الله تعالى به أبا بكر الصدّيق - رضى الله عنه - من تكثير طعامه أمام أضيافه حتى أكلوا جميعاً على كثرتهم وبقى الطعام أكثر مما كان .

ومنها ما أكرم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتحقيق كل ما ألهمه وظنه .

ومنها ما أكرم به سعيد بن زيد رضى الله عنه ، حين استجاب دعاءه على أروى بنت أوس ، لما ادعت عليه أمام مروان بن الحكم زوراً فى أرض ادعت أنه اغتصبها .

---

(١) آل عمران : ٣٧ (٢) مريم : ٢٥ - ٢٦

ومن الأدلة : ما أكرم الله تعالى به جريجاً العابد بنطق الطفل الرضيع ، وتبرئته من جريمة الزنا .

ومنها : ما أكرم الله به الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة حين توسلوا إليه تعالى بأعمالهم الصالحة ... إلخ .

ولا يمنع العقل إمكان حدوث المعجزة أو الكرامة ، ما دام الذى يجريهما هو الله تعالى على أيدى أنبيائه وأوليائه .. بل إن مَن ينكر المعجزة للنبى ، أو الكرامة للولى ، يُعد كافراً والعياذ بالله [1] .

* * *

● المعجزة الكبرىٰ .. « القرآن الكريم » :

لا يمارى مخلوق فى أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول ﷺ .

والدليل على إعجاز القرآن أن النبى ﷺ ادعى النبوة ، وأتى بالقرآن ، وادعى أنه معجز قد أنبأه الله عَزَّ وجَلَّ به ، وجعله دلالة على صحة دعواه وبرهاناً على صدقه ، وتحدى به العرب قاطبة ، وقرعهم بالمعجز عن الإتيان بمثله ، بل بسورة مثله ، وفيهم الخطباء والشعراء والبلغاء وهم الغاية والبيان وأُولو المعرفة بمواقع الكلام وأجناسه وأساليبه عن المنثور والمنظوم ، ولهم العادة المشهورة فى التفاخر بالبلاغة والفصاحة ، والمعرفة بطريق المعارضات ومزايا المخاطبات ، مع ما كانوا عليه من الحمية والأنفة والعصبية ، ومع شدة حرصهم على تكذيبه وتوهين أمره وإبطال دعواه ، حتى بذلوا لذلك ما عزَّ وهان من النفس فما دونها ..

والرسول ﷺ يتحداهم ويقرعهم بالعجز ، ويدعى أنه حُجّته وبيِّنته ، ويذم مع

---

(١) انظر كتابنا : « الله توحيد .. وليس وحدة » - نشر مكتبة وهبة سنة ١٩٨٦ ص ١٧٣ وما بعدها ، وانظر أيضاً : « الرسالة القشيرية » للإمام القشيرى ، و « الوحى .. والقرآن الكريم » للشيخ محمد حسين الذهبى .

ذلك أديانهم ، ويسب آلهتهم التى اتخذوها من دون اللّه عَزَّ وجَلَّ ، ويدعوهم إلى طاعته ، والتصرف على أمره ونهيه .

واستمر صلى اللّه عليه وسلم على ذلك زماناً بعد زمان فلم يعارضوه ، وعدلوا إلى الحرب التى هى أشق فقاتلوا حتى قتلوا وقُتلوا .

فدل ذلك على أن عدولهم عن معارضة القرآن لم يكن إلا لتعذره عليهم ، إذ لا يجوز على العقلاء إذا حاولوا أمراً أن يعدلوا لمحاولته من الأسهل إلى الأعضل ، ومن الأيسر إلى الأعسر ، إذا كانوا متمكنين منهما .

وإذا ثبت تعذرها - أى المعارضة - عليهم ، يثبت أنها على غيرهم أشد تعذراً ..

والمعجز هو الأمر الذى يتعذر مثله على جميع البَشر ، فثبت أن القرآن الكريم معجز على ما قلناه ، وهذه الدلالة مبنية على أن التحدى به قد وقع ، وأن المعارضة لم تقع ، وأن السبب الذى من أجله لم تقع هو التعذر ، وأن التعذر متى صح ، صح كونه معجزاً .

فالقرآن الكريم : كتاب اللّه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

عرض رسول اللّه ﷺ على قومه القرآن ، واستدل على صدقه به وتحداهم بقوله : إن كنتم فى شك من صدقى فائتوا بقرآن مثله ، وعند سماعهم له راعهم ما سمعوا ، وعلموا أنهم دون معارضته قد انقطعوا ، فلم يقدروا على ذلك . يقول اللّه تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ، بَلْ لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُواْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

---

(١) الطور : ٣٣ - ٣٤

ثم إنه طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) ، فعجزوا ولم يقدروا .

ثم طلب منهم أن يأتوا بسورة مثله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) .. فلم يستطيعوا .

بل إنه تعالى تحداهم وأخبرهم أنهم لن يتمكنوا أبداً - مهما حاولوا - من الإتيان بسورة من مثله ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ، أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

وعند ذلك أخبرهم أنهم لو اجتمعوا هم والجن على أن يأتوا بمثله فلن يأتوا بمثله : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٤) .

وعند ذلك ظهر عجزهم وتبلدهم وإن كانوا هم اللسن الفصحاء ، اللد البلغاء .

ويقول ابن كثير رضى الله عنه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ... ﴾ أى إن ادعيتم وافتريتم وشككتم فى أن هذا من عند الله ، وقلتم كذباً وميناً : إن هذا من عند محمد بَشر مثلكم وقد جاء - فيما زعمتم - بهذا القرآن ، فأتوا أنتم بسورة مثله ، أى من جنس هذا القرآن ، واستعينوا على ذلك بكل مَن قدرتم عليه من إنس وجان ، وهذا هو المقام الثالث فى التحدى ، فإنه تعالى تحداهم إن كانوا

---

(١) هود : ١٣ (٢) يونس : ٣٨
(٣) البقرة : ٢٣ - ٢٤ (٤) الإسراء : ٨٨

صادقين فى دعواهم أنه من عند محمد فليأتوا بمثله ، وليستعينوا بمن شاؤوا فقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، ثم تنازل إلى سورة فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم ، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى فى هذا الباب ، ولكن جاءهم من اللّه ما لا قِبَل لأحد به ، ولهذا آمن مَن آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام ، وحلاوته وجزالته ، وطلاوته وإفادته وبراعته ، فكانوا أعلم الناس به ، وأفهمهم له ، وأتبعهم له ، وأشدهم له انقياداً ، كما عرف السحرة بعلمهم بفنون السحر أنّ هذا الذى فعله موسى عليه السلام لا يصدر إلا عن مؤيّد مسدد مرسل من عند اللّه ، وأن هذا لا يستطاع لبَشر إلا بإذن اللّه ، وكذلك عيسى عليه السلام بُعِث فى زمان علماء الطب ، ومعالجة المرض فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن اللّه ، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه ، فعرف مَن عرف منهم أنه عبد اللّه ورسوله ، ولهذا جاء فى الصحيح عن رسول اللّه ﷺ : « ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البَشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه اللّه إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » [1] .

ويقول فى تفسير آية هود : « بيّن تعالى إعجاز القرآن ، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتى بمثله ، ولا بعشر سور مثله ، ولا بسورة من مثله ، لأن كلام الرب

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، للشيخ محمد كريم راجح ، تفسير سورة يونس : ٥١٨/١

تعالى لا يشبه كلام المخلوقين ، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات ، وذاته لا يشبهها شئ ، تعالى الله وتقدس وتنزه ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه » (١) .

ويقول فى تفسير آية الإسراء : « نبَّه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم ، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ، ولما استطاعوه ، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطاع ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذى لا نظير له ، ولا مثال له ، ولا عديل له » (٢) .

ولو أن نبياً ادعى أنه رسول الله ، واستدل على صدقه بأن قال لقومه : آيتى ألا تقدروا اليوم على القيام فكان ذلك ، فهذا دليل صدقه وهو معجزة جلية .

والقرآن الكريم خارج عن مقدور البَشر ، وليس من جنس مقدورهم ، وأنه وإن كان كلاماً فليس بينه وبين كلام العرب من المناسبة والالتقاء إلا ما كان بين الحية التى انقلبت عصى موسى عنها ، وبين حيات السحرة التى كانت تخيل للناظر أنها حيات تسعى .

لم يستطع الناس على مر العصور وتعاقب الدهور أن يأتوا بمثل القرآن ، بل على الإتيان بآية طويلة من آياته ، لذا كان القرآن الكريم هو معجزة الرسول ﷺ الخالدة ، فهى موجودة بعده ، وحاضرة مشاهَدة فى كل وقت إلى قيام الساعة .

ومن الوجوه الذى مايز به القرآن كلام العرب : فصاحته الرائعة وبلاغته الموفقة وجزالته الفائقة ، حتى تسمع الكلمة الواحدة منه تجمع معانى كثيرة ، مع عذوبة إيرادها ، وجزالة مساقها وصحة معانيها مثل قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣) ، ولما نزلت هذه الآية قال أبو جهل - وكان من أشد الأعداء على الرسول ﷺ : إن رب محمد لفصيح .

---

(١) المرجع السابق : ٥٤٣/١ (٢) نفس المرجع : ٧١٢/١ (٣) الأعراف : ١٩٩

فهذه الآية بما تضمنت من الأحكام ، وتفسير الحلال والحرام ، والإعراض عن أهل الجهل والإجرام ، والأمر بالتزام أخلاق الكرام ، تدل دلالة قاطعة على أنها كلام العزيز العلّام ، مع ما هى عليه من اللفظ الجزل الرصين ، الذى يروع قلوب العارفين . ويثلج قلوب القارئين والسامعين .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ولما سمع « المغيرة » هذه الآية - وكان من أعدائه الذين يريدون إطفاء نوره وإذهاب بهائه - قال : « واللّه إنَّ له لحلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّ أسفله لمغدق ، وإنَّ أعلاه لمثمر مورق ، وما يقول هذا بَشر » .

وهذه الآية - قد تضمنت بحكم عمومها وصحة مفهومها - معانى كتب المتقدمين ، وشرائع الماضين ، وتذكرة الحاضرين ، وتخويف المقصرين ، وترغيب المجتهدين ، مع ما هى عليه من قلّة الكلمات ، ومع عذوبة المساق والجزالات .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢) .

حكى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ، بينما هو نائم يوماً فى المسجد ، إذ وقف على رأسه رجل يتشهد بشهادة الحق ، فاستخبره . فقال : إنى كنت من بطارقة الروم ، وكنت ممن يحسن كلام العرب وغيرهم ، فسمعت أسيراً من المسلمين يقرأ آية من القرآن فتأملتها ، فإذا هى قد جمع فيها ما أنزل اللّه على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة ، ثم قرأ عليه هذه الآية .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) النور : ٥٢ (٣) القصص : ٧

حكى أن « الأصمعى » سمع جارية من العرب تنشد :

أستغفـــرُ اللّهَ لذنبى كلّه　　قتلْتُ إنساناً بغيـــــر حلّه

مثــل غـزال ناعـماً فى دلّه　　وانتصف الليــلُ ولم أصلّه

فتعجب الأصمعى من فصاحتها . فقالت : وهل بعد قول اللّه تعالى فصاحة حيث قال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ... ﴾ - وتلت الآية ثم قالت : فإنه جمع فى آية واحدة بين أمرين ، ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

حكى أن أعرابياً لما سمعها سجد ، فقيل له : لِمَ سجدتَ ؟ فقال : سجدتُ لفصاحته .

ولا يظن الجاهل أنّا نستدل على فصاحته بكلام هؤلاء الأعراب ، كلا ، لو كان ذلك لكانت الحُجّة أضعف من السراب ، بل نعلم أنه معجز بفصاحته علم ضرورة تحصل لنا عند سماعه وقراءته ، والبلغاء إذا وقفوا عليه وسمعوه ، لذلك العلم مضطرون ، بحيث لا يرتابون ولا يشكون .

كيف ؟ والعربى الفصيح إذا سمع قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِىَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ ، وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ فَكُلّاً

---

(١) الحجر : ٩٤　　(٢) البقرة : ١٧٩　　(٣) سبأ : ٥١

(٤) فصلت : ٣٤　　(٥) هود : ٤٤

أَخَذْنَا بِذَنبِه ، فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِه الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١) .

ومثل ذلك كثير ...

إذا سمع العربى الفصيح هذه الآيات وأمثالها ، قضى من هذه البلاغة والجزالة ومتانة هذه المعانى : العجب ، وعلم أن مثل هذا لا يقدر عليه أحد من العجم ولا العرب .

وما عسى أن يقال فى كلام ذى الجلال ، إذ هو أصدق الكتب ، ومصدِّق خير الرسل ، ولو كانت البحار مداداً ، وجميع الجن والإنس كُتَّاباً ، ما بلغوا معشاره ، ولا قدروا مقداره .

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَداً ﴾ (٢) .

كما أن من إعجازه نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الذى خالف به جميع أسلوب كلام العرب ، حتى كأنه ليس بينه وبينه نسب ولا سبب ، فلا هو كمنظوم كلامها ، فيكون شعراً موزوناً ، ولا كمنثوره فيكون نثراً عرياً عن الفواصل محروماً . بل تشبه رؤوس آيه وفواصله قوافى النظم ولا تدانيها ، وتخالف آيه متفرقات النثر وتناديها ، فصار لذلك أسلوباً خارجاً عن كلامهم ، ومنهاجاً خارقاً لعادة خطابهم .

وذلك أن كلام بلغاء العرب لا يخلو : إما أن يكون موزوناً منظوماً أو غير موزون ولا منظوم .

فالأول : هو الشعر ، وهو أصناف وأنواع بحسب اختلاف أعاريضه .

---

(١) العنكبوت : ٤٠ (٢) الكهف : ١٠٩

والثانى : هو النثر .. والقرآن العزيز خارج عن الصنفين ، مفارق للنوعين . فارق الشعر بأنه ليس موزوناً وزنه فتكسره لفظة زائدة ، ولا مرتبطاً ربطه حتى تفسده مخالفة قافية واحدة فى الوقوف عليه ، وأوضح شاهد ، وأقطع لشبهة كل معاند .

والقرآن الكريم ذو آيات لها فواصل ومقاطع ، ورؤوس تشبه القوافى ، فقد عرفت أنه خالف نظم كلام العرب ونثرها ، فهو منهاج آخر وأسلوب لم تكن العرب تعرفه ، ولما سمعته العرب ووعته ، لم يتحدث قط واحد منهم بأنه يقدر على معارضة آية منه ، بل حارت فيه عقولهم ، وتدلهت دونه أحلامهم .

لذا قال « الوليد بن المغيرة » لملأ قريش : « يا معشر قريش ، إنه قد حضر موسم الحج ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، ولا بد أن يسألوكم عنه ، فماذا تقولون لهم ؟ فأجْمِعوا فيه رأياً واحداً لئلا تكذبكم العرب إذا اختلفتم فيه » .

قالوا : نقول : إنه كاهن .

فقال لهم : « واللّهِ ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه » .

قالوا : فنقول : إنه مجنون .

قال : « واللّهِ ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، واللّه ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته » .

قالوا : فنقول : إنه شاعر .

قال : « ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر » .

قالوا : فنقول : إنه ساحر .

قال : « ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عقده . وما أنتم قائلون شيئاً من هذا إلا كذبتكم العرب وعرفت أنه باطل » .

قالوا : فما تقول أنت ؟

قال : « واللّه إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لثمر . وإن أقرب القول فيه أن تقولوا إنه ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه » .

يعنى - لعنه اللّه - أن هذا تقبله العرب فإنها لا تعرف السحر .

فعوّلوا على أن يقولوا : إنه سحر . ففعلوا . وفى الوليد أنزل اللّه تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (١) .

فانظر كيف عرفوا أنه ليس من جنس كلامهم ، ولا من جنس كلام الكهنة ولا السحرة ، ولم يمنعهم من الإيمان به إلا ما سبق لهم من الشقاوة والعناد والحسد والجفوة ..

كما قال « عتبة بن ربيعة » لما سمع : ﴿ حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢) قال : « واللّه ما سمعتُ مثله قط ، واللّه ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر .

« يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوا ، فواللّه ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به » .

---

(١) المدثر : ١١ - ٢٦ (٢) فصلت : ١ - ٤

وكذلك قال « أنيس » - أخو أبى ذر الغفارى - وكان شاعراً مفلقاً ، يناقض الشعراء ويعارضهم ، فلما سمع القرآن قال لأخيه أبى ذر : « لقد سمعتُ قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعته على أقراء الشعر ، فلم يلتئم ، وما يلتئم على لسان أحد يدّعى أنه شعر ، واللّه إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون » .

كما أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم ما تضمنه من الإخبار بالمغيبات قبل أن يحيط أحد من البَشر بعلمها ، وبوقوع كائنات قبل وجودها ، وذلك أمر لا يتوصل إلى العلم به إلا من جهة الصادقين الذين يخبرون عن اللّه تعالى .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ ﴾ (١) .

فهذه الآية من أوضح معجزاته صلى اللّه عليه وسلم ، وذلك أن اللّه تعالى وعده بأن يدخله المسجد الحرام هو وقومه فى حالة أمن ، ويفتح عليهم مكة على أحسن حال ، فما زالوا ينتظرون ذلك حتى بلغ وقته ، وصدق وعده ، فدخلوا كما وعدهم ، وفتحوه على ما أخبرهم .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ ، لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وهذه الآية أيضاً من أعظم معجزاته - صلى اللّه عليه وسلم - وذلك أن هذه الآية لما نزلت كانت « فارس » غالبى « الروم » ، وكان المسلمون يحبون ظهور فارس على الروم ، لأنهم وإياهم ليسوا أهل كتاب ولا إيمان ، فلما أنزل اللّه

---

(١) الفتح : ٢٧ (٢) الروم : ١ - ٦

تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه يصيح فى الناس ، وفى نواحى مكة بهذه الآية ، ويقرأها على مشركى قريش ، فقال ناس من قريش : زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس فى بضع سنين ، أفلا نراهنك على ذلك ! فقال : بلى - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتهن أبو بكر والمشركون ، وتواضعوا الرهان وقالوا لأبى بكر : كم نجعل البضع ؟ - والبضع ثلاث سنين إلى تسع سنين - فسم بيننا وبينك وسطاً ننتهى إليه . قال : فسموا بينهم ست سنين ، فمضت الست سنين قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبى بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس ، فعاب المسلمون على أبى بكر تسمية « ست سنين » لأن الله تعالى قال : ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ . قال : وأسلم عند ذلك ناس كثير .

وفى الآية أيضاً إعجاز آخر وهو فرح المؤمنين فيما بعد بنصر الله ، وقد انتصروا على فارس والروم .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ (١) .

وقوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

وقد فعل الله تعالى ذلك بالرسول ﷺ وأمته ، ملّكهم الأرض ، واستخلفهم فيها ، وأذل ملوكها تحت سيف القهر بعد أن كانوا أهل عز وكبر ، وأورثهم

---

(١) النور : ٥٥ (٢) الصف : ٨ - ٩

أرضهم وديارهم وأموالهم ، ومنحهم رقابهم ، وأتم نوره ، وأظهر دينه على الدين كله ﴿ وَعْدُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (٢) .

قوله سبحانه : ﴿ فِي الآفَاقِ ﴾ يريد بذلك فتح الأمصار ، وقوله : ﴿ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ يعنى به فتح مكة ، وقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ يرجع إلى كفار قريش . ولذلك قال النبى ﷺ : « إِنَّ اللَّه زوى لى الأرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وإن مُلك أمتى سيبلغ ما زوى منها » .

ومعنى زوى : جمع .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (٣) .

يريد بذلك - والله أعلم - جمع كفار قريش .. وكذلك فعل بهم ، وذلك أنهم خرجوا إلى حربه صلى الله عليه وسلم فى غير موطن ، فهزمهم الله وولوا الأدبار ، وكانت عاقبتهم الخسار والبوار .

وكذلك قال تعالى فى آيات أُخر : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٤) .

وفى آية أخرى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ، وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴾ (٥) .

فهذه الآية اقتضت بشارتين ، إحداهما : أنهم لن يصلوا إلى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بضر أكثر من السب . والثانية : أنهم يُغلَبون ويولون الأدبار .. وكذلك كان ، على نحو ما أنزله ذو العزة والسلطان .

---

(١) الرعد : ٣١ (٢) فصلت : ٥٣ (٣) القمر : ٤٥

(٤) آل عمران : ١٢ (٥) آل عمران : ١١١

والآيات فى القرآن لهذا النوع كثيرة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

فى هذه الآية يخبرنا تعالى : أنه أنزل القرآن ، وأنه تولى حفظه . وهذا كتاب اللّه محفوظ بحفظه ، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه على كثرة مَن سعى فى تغييره ، فأطفأ نوره - لا سيما القرامطة فإنهم كانوا قد أجمعوا كيدهم ، واستنفدوا فى تغييره وتحريفه جهدهم ، ولم يزل كذلك دأبهم ودأب غيرهم من أعداء الدين وعتاة الملحدين ، ويأبى اللّه إلا أن تعلى كلمته وتظهر شريعته .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ ﴾ (٢) .

وكان هؤلاء المستهزئون نفراً من الكفار معروفون بأعيانهم وأسمائهم ، ينفرون الناس عنه ويؤذونه ويهزأون به ، فأنزل اللّه تعالى على نبيه صلى اللّه عليه وسلم هذه الآية يبشره بإهلاكهم وهم أحياء .

فكان سبب إهلاكهم من أعجب آيات النبى ﷺ ، وذلك أنه كان منهم « الأسود ابن عبد المطلب » رمى النبىُّ ﷺ فى وجهه بورقة خضراء ، فعمى .

ومنهم « الأسود بن عبد يغوث » أشار إليه النبى ﷺ فاستسقى بطنه ، فمات حَبِناً (٣) .

ومنهم « الوليد بن المغيرة » أشار النبى ﷺ إلى أثر جرح كان بأسفل كعبه ، كان أصابه قبل ذلك بسنتين ، وكان قد برأ فتجدد حتى قتله اللّه به .

ومنهم « العاص بن وائل » أشار النبى ﷺ إلى أخمص رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فرماه حماره على الأرض فدخلت فى أخمص رجله شوكة ، فقتلته .

---

(١) الحجر : ٩ (٢) الحجر : ٩٥ - ٩٦

(٣) الحبن : داء فى البطن يَعظُم منه ويَرِمُ (الاستسقاء) .

ومنهم « الحارث بن الطلالة » أشار النبى ﷺ إلى رأسه فاستحال دمه قيحاً فقتله .

ومن وجوه إعجازه ما تضمنه من الأخبار عن الأمم السابقة ، والقرون السالفة ، والشرائع الدائرة ، والقصص الغابرة التى لا يعلم منها بعضها إلا الآحاد من علماء ذلك الشأن ، الذين قد انقبضت لهم فى تعلم تلك العلوم أزمان . فيورده النبى ﷺ فى القرآن على وجهه ، ويأتى به على نصه ، فيعترف العالَم بصحته وتصديق قصته ، مع العلم بأن النبى ﷺ لم ينل ذلك بتعليم ، ولا اكتسب ذلك بواسطة معلم ولا حكيم ، بل حصل له ذلك بإعلام العزيز العليم .

وإلا فهو أمى ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يتفقه ولا يحسب ، ومع ذلك فقد حصلت له علوم الأوّلين والآخرين ، وصار كتابه وكلامه منبع علوم العالَمين ، فلقد كان أهل الكتاب يجتمعون إليه ويلحون بالأسئلة عليه ، فينزل عليه بأجوبتهم القرآن ، فما ينكر شيئاً من ذلك منهم إنسان ، بل يعترف بذلك ، ولا ينكر مما يسمع هنالك .

هذا مع شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه ، وهو مع ذلك يحتج عليهم بما فى كتبهم ويقرعهم بما انطوت عليه مصاحفهم ، ويبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون من شرائع كتبهم ووصايا رسلهم ، وهم مع ذلك يرومون تعنيته ويقصدون بأسئلتهم تبكيته ، مثل سؤالهم عن الروح ، وعن ذى القرنين ، وعن أصحاب الكهف ، وعن عيسى ابن مريم ، وعن حكم الرجم ، وعن ما حرَّم إسرائيل على نفسه ، وعما حُرِّم عليهم من الأنعام ، ومن طيبات أحلت لهم فحرِّمت عليهم ببغيهم .. وغير ذلك من أمورهم التى نزل القرآن جواباً عنها ، فلم ينكروا شيئاً منها حين ذكرها لهم على وجهها .

ولا يظن ظان أن إعجاز القرآن إنما هو من هذه الوجوه فقط ، بل وجوه إعجازه أكثر من أن يحصيها عدد ، أو يحيط بها أحد .

وعلى الجملة فإنّا نقول لمن كذّب محمداً ﷺ ، أو شك فى رسالته ما قال الله تعالى فى كتابه محتجاً على مَن أصرّ على تكذيبه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ، أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

* * *

● الإخبار بالمغيبات قبل وقوعها :

من الناس صنف ضرب الله على أبصارهم وران على قلوبهم فلا تنفتح أعينهم إلا على الأدلة التى يلمسونها بأيديهم ، ولا تقتنع عقولهم إلا بالبراهين المادية والآيات المحسوسة الملموسة . وهذا لما جُبلوا عليه من جمود العقول والأفهام .

هذا الصنف من الناس الذين لا يؤمنون إلا بما تراه أعينهم ، ولا يصدّقون إلا ما تلمسه أيديهم ، فى حاجة دائمة إلى الأدلة المحسوسة والقرائن الملموسة .

ولهؤلاء الصنف كان لا بد للمعجزات التى يجريها الله تعالى على أيدى أنبيائه من أن تكون أموراً خارقة للعادة ، خارجة عن المألوف ، حتى تتفتح البصائر وتنجلى العقول وتلين الأفهام . وبهذا تتأيد دعوة الرسل ، وتقام الحُجّة على أقوامهم .

ولهذا كانت المعجزات التى أوتيها رسول الله ﷺ - إلى جانب القرآن معجزته الكبرى - أموراً خارقة للعادة ، خارجة عن المألوف ، تتحير فيها العقول ، وتذهل عن تفسيرها الأفهام ، وتعجز قدرات الناس جميعاً عن معارضتها .

---

(١) البقرة : ٢٣ - ٢٤

وانظر : إثبات نبوة النبى - لأبى الحسن الهارونى الزيدى ، والإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام - للقرطبى ، ومختصر تفسير ابن كثير ، للشيخ محمد كريم راجح .

والمعجزات التى يأتى بها الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم - صنفين : غيبية ، وحسية ..

لذا كان من الصنف الأول : إخباره صلى الله عليه وسلم عن المغيبات قبل وقوعها ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام بكثير من الأمور التى لم تقع قبل إخباره بها - أو فى حين الإخبار - ثم حدثت هذه الأمور بعد ذلك بأزمان طويلة ، ومنها ما حدث فى حياته - صلى الله عليه وسلم - ومنها ما حدث فور الإخبار به .

● ومن هذه المعجزات ما ذكره « حذيفة » قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، فما ترك شيئاً فى مقامه ذلك يكون إلى قيام الساعة إلا حدّثه ، حفظه مَن حفظه ، ونسيه مَن نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشىء فأعرفه ، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه . ثم قال : لا أدرى ، أنسى أصحابى أم تناسوه ؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا ، يبلغ مَن معه ثلاثمائة فصاعداً إلا وقد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته [1] .

ويقول أبو ذر رضى الله عنه : لقد تركنا رسول الله ﷺ ، وما من طائر يحرك جناحيه فى السماء ، إلا ذكر لنا منه علماً .

وقد خرّج أهل الصحيح فى كتبهم ، واشتهر عن الأئمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه ، وفتح مكة ، وبيت المقدس واليمن والشام والعراق ومصر ، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة ، لا تخاف إلا الله ، وأن المدينة لا تُغزَى .

● فعن نافع بن عتبة بن أبى وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « تقاتلون جزيرة العرب فيفتحها الله لكم ، ثم تقاتلون فارس فيفتحها الله لكم ، ثم تقاتلون الروم فيفتحها الله لكم ، ثم تقاتلون الدجال فيفتحه الله لكم » .

---

(١) ذكره أبو داود .

قال جابر بن سَمُرَة - راوى الحديث عن نافع : لا يخرج الدجال حتى يفتتح الروم [١] .

● وعن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » [٢] .

● وعن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط - وفى رواية : فاستوصوا بأهلها - خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » [٣] .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنى خليلى الصادق رسول الله ﷺ قال : « تكون فى هذه الأمة بعث إلى السند والهند » [٤] .

● وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغلظت علىّ صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىّ ، نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى .

قال : قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : « أوَ قد رأيتَ ذلك يا سلمان » ؟ قال : قلت نعم . قال : « أما الأولى فإنَّ الله فتح علىّ بها اليمن ، وأما الثانية فإنَّ الله فتح علىّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإنَّ الله فتح علىّ بها المشرق » .

---

(١) رواه أحمد فى المسند (١٥٤) .

(٢) رواه مسلم ، والذمة هى الحرمة والحق وهى هنا بمعنى الذمام ، أما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، والبلاد التى يذكر فيها القيراط هى مصر . (٣) رواه مالك .

(٤) رواه أحمد ، وقد غزا المسلمون الهند عام ٤٤ هـ فى إمارة معاوية ، كما غزاها الملك محمود بن شنكشير صاحب بلاد غزنة عام ٤٠٠ هـ .

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول حين فتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وعثمان رضى الله عنهما وما بعده : « افتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك » [1] .

*

كما أعلم رسول الله ﷺ بفتح خيبر على يد علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فى غد يومه .

● عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصدِّيق رضى الله عنه برايته - وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام - إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار . قال : يقول مسلمة : فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل فى عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك » .

قال : يقول مسلمة : فخرج والله بها يأنح [2] ، يهرول هرولة ، وإنّا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : مَن أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى : علوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه [3] .

● وعن أبى رافع - مولى رسول الله ﷺ - قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله ﷺ برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطاح ترسه من يده ،

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة .

(٢) يأنح : أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو ، والرضم : الحجارة المجتمعة .

(٣) رواه ابن هشام فى السيرة .

فتناول عليّ - كرّم الله وجهه - باباً كان عند الحصن فترّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى ، أنا ثامنهم ، نجهد أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه [1] .

*

كما أعلم عليه الصلاة والسلام المسلمين بما يكون فى غزوة أحد فى غد يومه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إنى قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً لى تُذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلماً ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة ، وأوّلها صلى الله عليه وسلم : « فأما البقر : فهى ناس من أصحابى يُقتلون ، وأما الثلم الى رأيت فى ذباب سيفى : فهو رجل من أهل بيتى يُقتل ، وأما الدرع الحصينة : فهى المدينة » [2] .

فلما كانت الواقعة ، استشهد حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، كما استشهد من الصحابة - رضوان الله عليهم - خمس وستون صحابياً .

*

وقد مرّ بنا فى خبر الصحيفة التى كتبتها قريش وتعاقدوا فيها على مقاطعة بنى هاشم فلا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم ، ولا يخالطوهم فى شئ ولا يكلموهم ، حتى مكثوا على ذلك ثلاث سنين فى شِعْبهم محصورين .

ثم أطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور أو ظلم وبقى ما كان فيها من ذكر الله تعالى ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لعمه أبى طالب فقال أبو طالب : أحق ما تخبرنى به يابن أخى ؟ قال : نعم والله .

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة .

(٢) رواه ابن هشام فى السيرة .

ويروى ابن سعد عن زكريا بن عمرو ، عن شيخ من قريش ، أنَّ أبا طالب ذكر ذلك لإخوته ، فقالوا له : ما ظنك به ؟

قال : فقال أبو طالب : واللّه ما كذبنى قط ، قالوا : فما ترى ؟ قال : أرى أن تلبسوا أحسن ما تجدونه من الثياب ثم تخرجوا إلى قريش فنذكر ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر .

قال : فخرجوا حتى دخلوا إلى المسجد ، فصعدوا إلى الحجر - وكان لا يجلس فيه إلا مسانُّ قريش وذوو نهاهم - فترفعت إليهم المجالس ينظرون ماذا يقولون . فقال أبو طالب : إنَّا قد جئنا لأمر فأجيبوا فيه بالذى يُعرف لكم . قالوا : مرحباً بك وأهلاً ، وعندنا ما يسرك فيما طلبت .

قال : إنَّ ابن أخى قد أخبرنى - ولم يكذبنى قط - أنَّ اللّه سلّط على صحيفتكم التى كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقى فيها كل ما ذُكر به اللّه تعالى ، فإن كان ابن أخى صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه إن شئتم .

قالوا : قد أنصفتنا ، فأرسلوا إلى الصحيفة فلما أُتىَ بها قال أبو طالب : اقرأوها ، فلما فتحوها إذا هى كما قال رسول اللّه ﷺ ، قد أكلت كلها إلا ما كان من ذكر اللّه تعالى فيها .

قال : فسُقطَ فى أيدى القوم ثم نُكسوا على رؤوسهم . فقال أبو طالب : هل يبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة ؟

فلم يراجعه أحد من القوم ، وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببنى هاشم ، فمكثوا غير كثير ، ورجع أبو طالب إلى الشعْب وهو يقول : يا معشر قريش ، علام نُحصر ونُحبس وقد بان الأمر ؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة فقال : اللّهم انصرنا ممن ظلمنا ، وقطّع أرحامنا ، واستحلّ منا ما يحرم عليه منا ، ثم انصرفوا [1] .

*

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

كما مرّ بنا فى حديث الإسراء - الذى كان من أكبر المعجزات للنبى ﷺ - أنّ أهل مكة كذّبوا رسول اللّه ﷺ فى خبره ، فأظهر اللّه تعالى على يديه من الآيات والمعجزات ما حيّر عقولهم .

ويروى ابن سعد : « أنّ رسول اللّه ﷺ قال لجبريل عليه السلام : يا جبريل ، إنّ قومى لا يصدقونى ، قال : يصدقك أبو بكر وهو الصدِّيق ، وافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا وأسلموا ، فقال رسول اللّه ﷺ : « وقمت إلى الحِجْر ، فخيل لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه فقال بعضهم : كم للمسجد من باب ؟ ولم أكن عددتُ أبوابه ، فجعلتُ أنظر إليها وأعدها باباً باباً وأعلمهم ، وأخبرتهم عن عيرات لهم فى الطريق وعلامات منها فوجدوا ذلك كما أخبرتهم .

وفى رواية عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه صلى اللّه عليه وسلم قال : « لقد رأيتنى فى الحِجْر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألونى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كرباً ما كربت مثله قط ، فرفعه اللّه إلىّ أنظر إليه ، ما يسألونى عن شئ إلا أنبأتهم به »[1] .

وفى رواية ابن هشام : « أنّ رسول اللّه ﷺ لما خرج إلى الناس وأخبرهم الخبر عجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قط . قال : « آية ذلك أنى مررتُ بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فندَّ لهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا موجه إلى الشام ، ثم أقبلتُ حتى إذا كنت بضجنان مررتُ بعير بنى فلان فوجدتُ القوم نياماً ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ ، فكشفت غطاءه وشربتُ ما فيه ، ثم غطيتُ عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوِّب من البيضاء ، ثنية التنعيم ، يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء والأخرى برقاء .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد .

فلما ابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماءً ثم غطوه ، وأنهم هبوا ، فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء ، وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر ، وندَّ لنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه » (١) .

*

ومرَّ بنا فى الحديث عن غزوة بدر الكبرى أنَّ رسول الله ﷺ « لما كان يوم بدر مشى فى موضع المعركة ، وجعل يشير بيده ويقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان إن شاء الله ، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته صلى الله عليه وسلم . وأخذ رسول الله ﷺ ملء كفه تراباً ، فرمى به فى وجوه القوم فلم تترك رجلاً منهم إلا ملأت عينيه ، فهو قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (٢) .

*

● كما نعى النبى ﷺ إلى المسلمين النجاشى ، وجعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة قبل أن يجئ خبرهم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلى ، فصف بهم وكبَّر عليه أربع تكبيرات (٣) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ نعى جعفراً وزيداً قبل أن يجئ خبرهم فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله - يعنى خالد بن الوليد - حتى فتح الله عليهم » (٤) .

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة . (٢) الأنفال : ١٧ (٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخارى ، ونعى : أى نقل خبر الوفاة ، وأصيب : استشهد ، تذرفان : أى الدموع .

وقد حدث ذلك فى غزوة مؤتة بالشام وأخبر عنه الرسول ﷺ وهو فى المدينة .

● كما أنبأ - صلى الله عليه وسلم - بأن أبا لهب ، وامرأته ، وأمية بن خلف يموتون على الكفر لقوله تعالى فى أبى لهب وامرأته : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (١) .

وقوله فى أمية : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ (٢) .. وقد ماتوا على الكفر فعلاً .

● وإعلامه صلى الله عليه وسلم بأن أُبَىّ بن خلف سيموت كافراً ، بل وأنه - صلى الله عليه وسلم - سوف يقتله بيده . وحدث كما أعلم صلى الله عليه وسلم ..

فقد روى أن أُبَىّ بن خلف كان يقول للنبى ﷺ حين افتدى يوم بدر : عندى فرس أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أقتلك إن شاء الله » . فلما رآه يوم أحد شد أُبَىّ فرسه على رسول الله ﷺ فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبى ﷺ : هكذا - أى خلوا طريقه - وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفضه بها انتفاضة تطاير منه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله النبى ﷺ فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه ، فرفع إلى قريش يقول : قتلنى محمد ، وهم يقولون : لا بأس بك ، فقال : لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم ، أليس قد قال : أنا أقتلك ، والله لو بصق علىّ لقتلنى ، فمات بسرف فى قفول القوم إلى مكة ..

*

وكذلك إعلامه صلى الله عليه وسلم بما يفتح الله به على أمته من الدنيا ، ويؤتون من زهرتها ، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر ، وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء ، وسلوك سبيل مَن قبلهم ، وافتراقهم على ثلاث وسبعين

---

(١) المسد : ٣ - ٥ (٢) الهمزة : ٤ - ٦

فرقة ، الناجية منها واحدة ، وأنها ستكون لهم أنماط ، ويغدو أحدهم فى حلة ، ويروح فى أخرى ، وتوضع على يديه صحيفة وترفع أخرى ، ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة ، وأنهم إذا مشوا المطيطاء [1] ، وخدمتهم بنات فارس والروم ، ردَّ الله بأسهم بينهم ، وسلَّط شرارهم على خيارهم .

وإخباره صلى الله عليه وسلم بقتال الترك والخزر والروم ، وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى بعده ، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده ، وإخباره عن الروم ، لا تزال ذات أقران حتى تقوم الساعة ، وإخباره بملك بنى أمية وولاية معاوية ووصاه ، ومدة الخلافة ، واتخاذ بنى أمية ملك الله دولاً ، وإخباره عن خروج ولد العباس بالرايات السود ، وملكهم أضعاف ما ملكوا .

● عن عدى بن حاتم قال : بينَا أنا عند النبى ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل ، فقال : « يا عدى ، هل رأيتَ الحيرة » ؟ قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها . قال : « فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله » .

قلت فيما بينى وبين نفسى : فأين دعَّار طيئ الذين قد سعروا البلاد ؟

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ولئن طالت بك حياة ، لتفتحن كنوز كسرى » - قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « كسرى بن هرمز » .

« ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب مَن يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه » .

يقول عدى : « فرأيتُ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : يخرج ملء كفه » [2] .

● وروى ابن هشام : كتب كسرى إلى باذان : إنه بلغنى أن رجلاً من قريش

---

(١) المطيطاء : التبختر فى المشى . (٢) من حديث رواه البخارى - باب « علامات النبوة » .

خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فسرْ إليه فاستتبه ، فإن تاب وإلا فابعث إلىّ رأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول اللّه ﷺ ، فكتب إليه رسول اللّه ﷺ : « إنَّ اللّه قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا » ، فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر ، وقال : إن كان نبياً فسيكون ما قال ، فقتل اللّه كسرى فى اليوم الذى قال رسول اللّه ﷺ - قُتِل على يدى ابنه شيروية - قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام مَن معه من الفرس إلى رسول اللّه ﷺ ، فقالت الرسل من الفُرس لرسول اللّه ﷺ : إلى مَن نحن يا رسول اللّه ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » (١) .

● وعن أبى هريرة أنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إذا هلك كسرى فلا كسرى ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفس محمد بيده لتُنْفَقنّ كنوزهما فى سبيل اللّه » (٢) .

● وعن ابن عمر رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إذا مشت أمتى المطيطاء (٣) ، وخدمتها أولاد الملوك وفارس والروم ، سُلّط شرارها على خيارها » (٤) .

● وأعلم صلى اللّه عليه وسلم بافتراق الأمة من بعده على ثلاث وسبعين فِرْقة ، فعن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إنَّ بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فِرْقة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فِرْقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة » (٥) .

● وأعلم بأن الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون مُلْكاً عضوضاً .. فعن سفينة أن النبى ﷺ قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلْكاً » (٦) .

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة .
(٢) رواه البخارى فى علامات النبوة .
(٣) وهو التبختر فى المشى .
(٤) أخرجه الترمذى (٢٢٦٢) .
(٥) رواه ابن ماجه .
(٦) رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وحسنه .

وعن أبى عبيدة ومعاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال : « إنَّ اللّه بدأ هذا الأمر بنبوة ورحمة ، وستكون خلافة ورحمة ، وسيكون عزاً وحُرمة ، وسيكون مُلْكاً عضوداً ، وفساداً فى الأمة ، يستحلون به الفروج والخمور والحرير ، ويُنصرون على ذلك ويُرزقون أبداً حتى يلقوا اللّه عَزَّ وجَلَّ » (١) .

وقد اشتملت هذه الثلاثون سنة على خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ بن أبى طالب - رضى اللّه عنهم - وكان ختامها بستة أشهر وليها الحسن بن علىّ رضى اللّه عنه بعد أبيه ، وعند تمام الثلاثين نزل عن الأمر لمعاوية بن أبى سفيان سنة أربعون هجرية .

وعن معاذ بن جبل قال : خرج علينا رسول اللّه ﷺ فقال : « أنا محمد ، أوتيتُ فواتح الكلام وخواتمه ، فأطيعونى ما دمتُ بين أظهركم ، فإذا ذُهِبَ بى فعليكم بكتاب اللّه عَزَّ وجَلَّ ، أحلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه ، أتتكم الموتة ، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم ، كلما ذهب رسل جاءت رسل ، تناسخت النبوة فصارت مُلْكاً ، رحم اللّه مَن أخذها بحقها ، وخرج منها كما دخلها ، أمْسِك يا معاذ واحص - قال معاذ : فأحصيتُ خمساً - يعنى من الخلفاء : أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ والحسن - فقال النبى ﷺ : « يزيد .. لا بارك اللّه فى يزيد » ، ثم ذرفت عيناه بالدموع فقال صلى اللّه عليه وسلم : « نُعِىَ إلىّ الحسين ، وأُتيتُ بتربته ، وأُخبرتُ بقاتله ، لا يُقتل بين ظهرانى قوم لا يمنعوه ، إلا خالف اللّه بين صدورهم وقلوبهم ، وسلّط عليهم أشرارهم ، وألبسهم شيعاً » (٢) .

● وأعلم صلى اللّه عليه وسلم بأمر الخوارج .. فعن زيد بن وهب : أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع علىّ كرَّم اللّه وجهه الذين ساروا إلى الخوارج ، فقال علىّ : « أيها الناس ، إنى سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « يخرج قوم من أمتى

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) أخرجه ابن عوانة فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه الكبير .

يقرأون القرآن ، وليس قراءتكم بشئ إلى قراءتهم ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ ، يقرأون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » .

« لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل - أى لاتكلوا - وآية ذلك : « أن فيهم رجلاً له عضد ، ليس له ذراع على عضده مثل حلمة الثدى ، عليه شعرات بيض » ، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام ، وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم ؟ والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا فى سرح الناس ، فسيروا على اسم الله » .

يقول سلمة بن كهيل : فنزلنى زيد بن وهب منزلاً منزلاً ، حتى قال : مررنا على قنطرة ، فلما التقينا - وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى ، فقال لهم : ألقوا الرماح ، وسلوا سيوفكم من جفونها ، فإنى أخاف أن يناشدوكم ، كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا ، فوحشوا برماحهم ، وسلوا السيوف ، وشجرهم الناس برماحهم . قال : وقُتل بعضهم على بعض ، وما أصيب يومئذ من الناس إلا رجلان ، فقال علىّ رضى الله عنه : التمسوا فيهم المُخْدَج ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام علىّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه بنفسه حتى أتى أناساً قد قتل بعضهم على بعض ، قال : أخروهم ، فوجدوه مما يلى الأرض ، فكبَّر ثم قال : صدق الله وبلَّغ رسوله ، قال : فقام إليه عبيدة السلمانى فقال : يا أمير المؤمنين ، آلله الذى لا إلَهَ إلا هو ، لسمعتَ هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إى والله الذى لا إلَهَ إلا هو ، حتى استحلفه بالله ثلاثاً وهو يحلف له [1] .

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود .

● كما ذكر صلى الله عليه وسلم بنى مروان ، فعن سعيد بن عمرو بن العاص قال : كنت مع مروان وأبى هريرة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، فسمعت أبا هريرة يقول : سمعت الصادق المصدوق يقول : « هلاك أمتى على يد أغيلمة من قريش ، فقال مروان : غِلْمَة ، قال أبو هريرة : إن شئت أن أسميهم بنى فلان وبنى فلان .

وفى رواية : قال مروان : لعنة الله عليهم - قال عمرو بن يحيى بن سعيد - راوى الحديث - : فكنت أخرج مع جدى سعيد إلى الشام حين ملكه بنو مروان ، فإذا رآهم أحداثاً قال : عسى هؤلاء الذين عنى أبو هريرة ، فقلت : أنت أعلم [1] .

● وذكر صلى الله عليه وسلم المختار الثقفى والحجاج بن يوسف ، فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « فى ثقيف كذاب ومبير [2] قال : ويقال الكذاب : المختار بن أبى عبيد ، والمبير : الحجاج بن يوسف .

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت للحجاج : أما إنَّ رسول الله ﷺ حدُّثنا أن فى ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه - تعنى به المختار بن أبى عبيد الثقفى فإنه تنبأ وتبعه ناس حتى أهلكه الله - ، وأما المبير - أى المهلك - فلا إخالك إلا إياه ، قال : فقام عنها ولم يراجعها [3] .

وعن هشام بن حسان قال : أحصى عدد من قتل الحجاج صبراً ، فوجد مائة ألف وعشرين ألفاً [4] .

● وأخبر بالعباسيين وخروجهم ، فعن هلال بن عمرو قال : سمعتُ علياً رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج رجل من وراء النهر يقال له « الحارث بن حراث » على مقدمته رجل يقال له « منصور » يوطِّئ - أو يمكِّن

---

(١) رواهما البخارى فى باب الفتن .
(٢) أخرجه الترمذى .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) أخرجه الترمذى .

- لآل محمد ، كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ ، وجب على كل مؤمن نصره ، أو قال : إجابته » [1] .

● كما أخبر صلى الله عليه وسلم بخروج مسيلمة الكذّاب ، والأسود العنسى ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم مسيلمة الكذّاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها فى بَشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس ابن شماس ، وفى يد رسول الله ﷺ قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال : « لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أُريتُ فيكَ ما رأيت » .

فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بينما أنا نائم رأيتُ فى يدى سوارين من ذهب ، فأهمّنى شأنهما ، فأُوحى إلىّ فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما كذّابَيْن يخرجان بعدى » ، فكان أحدهما العنسى ، والآخر مسيلمة الكذّاب صاحب اليمامة » [2] .

*

● وأخبر صلى الله عليه وسلم بما ينال أهل بيته من القتل والشدائد ، وإخباره عن قتل علىّ كرّم الله وجهه ، وإخباره بقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف ، وإخباره أن عمر وعثمان وعلىّ والحسين وعمار - رضى الله عنهم - سيموتون شهداء ، وأن الحسين يُقتل فى كربلاء ، وأن عماراً تقتله الفئة الباغية .. وأن الحسن رضى الله عنه سيكون له شأن عظيم فى الإصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، وإخباره لبعض زوجاته أنها ستنبحها كلاب من الحوأب ، وأن ابنته فاطمة رضى الله عنها أول أهله لحوقاً به ، وأن زينب بنت جحش أول نسائه لحوقاً به . فكان ذلك كله كما ذكر رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) رواه البخارى فى باب الفتن .

فعن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال : صعد النبى ﷺ أحداً ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى اللّه عنهم ، فرجف الجبل ، فضربه برجله وقال : « اثبت أحد ، فما عليك إلا نبى وصدِّيق وشهيدان » (١) .

وعن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن النبى ﷺ قال لعثمان : « تُقتل وأنت مظلوم ، وتقطر قطرة من دمك على : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ قال : فإنها إلى الساعة لفى المصحف » (٢) .

وعن أبى عون الأنصارى أنّ عثمان بن عفان قال لابن مسعود : هل أنت منته عما بلغنى عنك ؟ فاعتذر بعض العذر ، فقال عثمان : ويحك ، إنى قد سمعت وحفظت ، وليس كما سمعت ، إن رسول اللّه ﷺ قال : « سيقتل أمير ، وينتزى منتزى » (٣) ، وإنى أنا المقتول ، وليس عمر ، إنما قتل عمر واحد ، وإنه مجتمع علىّ (٤) .

وعن نائلة بنت الفرافصة - امرأة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه قالت : نعس أمير المؤمنين عثمان فأغفى ، فاستيقظ فقال : ليقتلننى اليوم ، قلت : كلا إن شاء اللّه ، لم يبلغ ذلك ، إنّ رعيتك استعتبوك . قال : إنى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فى منامى وأبو بكر وعمر فقالوا : تفطر عندنا الليلة (٥) .

وقال صلى اللّه عليه وسلم عن عثمان رضى اللّه عنه أنه يدخل الجنة على بلوى تصيبه ، كما قال له : « إنّ اللّه مقمصك قميصاً ، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم » - يعنى الخلافة - وقال له : « لعلك تُضرب على هذه فتختضب » - يعنى رأسه ولحيته .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) أسد الغابة : ٣/٥٩٤ - والآية من سورة البقرة : ١٣٧

(٣) الانتزاء : الوثوب وتسرع الإنسان إلى الشر .

(٤) رواه أحمد فى المسند (٤٧٩) .

(٥) رواه أحمد فى المسند (٥٣٦) .

ووقع ما أخبر به الرسول ﷺ ، إذ استشهد عمر رضى الله عنه لأربع ليال بقين من ذى الحجة ، سنة ثلاث وعشرين (٢ نوفمبر سنة ٦٤٤ م) وكانت خلافته عشر سنين ، وخمسة أشهر ، وواحداً وعشرين يوماً ، قتله أبو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة [١] .

كما وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، إذ استشهد عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمان عشرة - أو سبع عشرة . خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين (١٧ يونية سنة ٦٥٦ م) ، على رأس إحدى عشرة سنة ، وأحد عشر شهراً ، واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطاب ، وعلى رأس خمس وعشرين من متوفى رسول الله ﷺ ، بعد حصار دام تسعة وأربعين يوماً ، وقُتل صائماً وهو يقرأ القرآن وسقط دمه الزكى على آية البقرة : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ تماماً كما أخبر الرسول ﷺ ، وكانت خلافته - رضى الله عنه - اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً [٢] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن علياً كرَّم الله وجهه قال للنبى ﷺ : إنك قلتَ لى يوم أحد حين أُخِّرْت عنى الشهادة واستشهد مَن استشهد : « إنَّ الشهادة من وراءك ، فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه بدم - وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه ، فقال علىّ : يا رسول الله ، أما أن تثبت لى ما أثبت فليس ذلك من مواطن الصبر ، ولكن من مواطن البُشرى والكرامة [٣] .

وعن عثمان بن صهيب عن أبيه قال : قال علىّ كرَّم الله وجهه : قال لى رسول الله ﷺ : « مَن أشقى الأوَّلين » ؟ قلت : عاقر الناقة ، قال : « صدقت ، فمن أشقى الآخرين » ؟ قلت : لا علم لى يا رسول الله ، قال : « الذى يضربك على هذا » - وأشار بيده إلى يافوخه - وكان علىّ كرَّم الله وجهه يقول : وددتُ أنه قد انبعث أشقاكم ، فخضب هذه من هذه - يعنى لحيته من دم رأسه [٤] .

---

(١) أسد الغابة : ١٧٩/٤

(٢) أسد الغابة : ٥٩٣/٣

(٣) أسد الغابة : ١١٧/٤

(٤) رواه الطبرانى وأبو يعلى .

ولذا قال كرَّم اللّه وجهه فى إحدى خطبه : « والذى فلق الحبة وبرأ النَّسَمة لَتُخْضَبَنَّ هذه من هذه - يعنى لحيته من دم رأسه - قال : قال الناس : فأعلمنا مَن هو ؟ واللّهِ لنبيرنَّ [1] عترته ! قال : أنشدكم باللّه أن يُقتل غير قاتلى [2] .

وقد وقع ما أخبر به صلى اللّه عليه وسلم تماماً ، فقد قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى - أحد الخوارج - بالسيف على أم رأسه ، ومكث - كرَّم اللّه وجهه - يوم الجمعة ويوم السبت وبقى ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان من سنة أربعين (٢٤ يناير سنة ٦٦١ م) وتوفى رضوان اللّه عليه [3] .

وعن عائشة رضى اللّه عنها قالت : دخل الحسين بن علىّ رضى اللّه عنهما على رسول اللّه ﷺ وهو يوحى إليه ، فنزل على رسول اللّه ﷺ وهو منكب ، فقال جبريل : أتحبه يا محمد ؟ قال : « وما لى لا أحب ابنى » ؟ قال : فإنَّ أمتك ستقتله من بعدك ، فمد جبريل يده فأتاه بتربة بيضاء ، فقال : فى هذه الأرض يُقتل ابنك هذا ، واسمها « الطف » . فلما ذهب جبريل من عند رسول اللّه صلى والتربة فى يده وهو يبكى ، قال : يا عائشة ، إن جبريل أخبرنى أن ابنى حسيناً مقتول فى أرض الطف ، وأن أمتى ستفتن بعدى .

ثم خرج إلى أصحابه وفيهم علىّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر ، وهو يبكى فبادروا إليه قائلين : ما يبكيك يا رسول اللّه ؟ فقال : أخبرنى جبريل أن ابنى الحسين يُقتل بعدى بأرض الطف ، وجاءنى بهذه التربة ، وأخبرنى أن فيها مضجعه » .

واستشهد الحسين رضى اللّه عنه بكربلاء - من أرض الطف - يوم عاشوراء الموافق العاشر من المحرّم سنة واحد وستون (١٠ أكتوبر سنة ٦٨ م) ، كما استشهد من إخوته جعفر وعقيل ومحمد والعباس ، كما استشهد ابنه الأكبر

---

(١) أى لنُهلكنَّ .

(٢) رواه أحمد فى المسند (١٣٣٩) .

(٣) أسد الغابة : ٤/ ١٢ .

علىّ وعبد الله وابن أخيه القاسم بن الحسن ، وابنا مسلم بن عقيل عبد الله وعبد الرحمن وغيرهم .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أبشر يا عمار ، تقتلك الفئة الباغية » .

وروى ابن هشام : أن عمار بن ياسر رضى الله عنه ، دخل المسجد وقد أثقلوه باللبن حين كانوا يبنون مسجد رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، قتلونى ، يحملون علىّ ما لا يحملون .

قالت أم سلمة - زوج النبى ﷺ - : فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده ، وكان رجلاً جعداً ، وهو يقول : « ويح ابن سمية ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية » (١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فقلنا : يا رسول الله ، أمرتنا بقتال هؤلاء ، فمع مَن ؟ فقال : « مع علىّ بن أبى طالب ، معه يُقتل عمار بن ياسر » (٢) .

وعن أبو البخترى أنّ عمار بن ياسر رضى الله عنه قال يوم صفين : ائتونى بشربة ، فأُتى بشربة لبن فقال : إنّ رسول الله ﷺ قال : « آخر شربها تشربها من الدنيا شربة لبن » ، وشربها ثم قاتل حتى قُتل (٣) .

وعن عمارة بن خزيمة قال : شهد خزيمة بن ثابت الجمل ، وهو لا يسل سيفاً ، وشهد صفين ولم يقاتل ، وقال : لا أقاتل حتى يُقتل عمار فأنظر مَن يقتله ، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « تقتله الفئة الباغية » فلما قُتل عمار قال خزيمة : ظهرت لى الضلالة ، ثم قاتل حتى قُتل (٤) .

واستشهد عمار بن ياسر رضى الله عنه فى موقعة صفين فى ربيع الأول -

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة .
(٢) أسد الغابة : ١١٤/٤
(٣) المرجع السابق : ١٣٤/٤
(٤) نفس المرجع : ١٣٥/٤

وقيل : ربيع الآخر - من سنة سبع وثلاثين هجرية . ولما قُتل رضى الله عنه قال: ادفنونى فى ثيابى فإنى مخاصم » .

وقد اختُلفَ فى قاتله ، فقيل : قتله أبو الغادية المزنى وقيل : الجهنى [1] ، طعنه طعنة فسقط فلما وقع أكبَّ عليه آخر فاحتز رأسه ، فأقبلا يختصمان ، كل منهما يقول : أنا قتلته ، فقال عمرو بن العاص : واللهِ إن يختصمان إلا فى النار ، واللهِ لوددتُ أنى متُّ قبل هذا بعشرين سنة [2] .

وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال : بينُا النبى ﷺ يخطب جاء الحسن رضى الله عنه ، فقال النبى ﷺ : « إنَّ ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » [3] .

وفى رواية : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين » [4] .

ووقع ما أخبر به الرسول ﷺ ، فقد ولى الحسن رضى الله عنه الخلافة بعد أبيه كرَّم الله وجهه ، وبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءه من خراسان والحجاز واليمن وغير ذلك ، ثم سار معاوية إليه من الشام ، وسار هو إلى معاوية ، فلما تقاربا علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يُقتل أكثر الأخرى ، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه ، على أن تكون له الخلافة بعده ، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ مما كان أيام أبيه ، وغير ذلك من القواعد ، فأجابه معاوية إلى ما طلب .

وقع ذلك فى النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين هجرية ، وقيل : لخمس بقين من ربيع الأول منها ، وقيل : فى ربيع الآخر . فتكون خلافته - على هذا - ستة أشهر واثنى عشر يوماً ، حيث تولى الخلافة لثلاثة عشرة بقين من رمضان سنة أربعون هجرية [5] .

---

(١) أبو الغادية المزنى والجهنى صحابيان .
(٢) أسد الغابة : ٤/١٣٥
(٣) رواه البخارى .
(٤) أسد الغابة : ٢/١٢
(٥) أسد الغابة : ٢/١٤

وصدّق بتنازله – رضى الله عنه - قول جده عليه الصلاة والسلام : « إنّ ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين » ، كما صدّق قوله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلكاً » . وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علىّ رضى الله عنهما ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال الثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ ، فإنه - عليه السلام - توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشر من الهجرة .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : ذكر النبى ﷺ خروج بعض نسائه أمهات المؤمنين ، فضحكت عائشة ، فقالت : « انظرى يا حميراء ، أن لا تكونى أنت » . ثم التفت إلى علىّ فقال : « يا علىّ ، إن وُلِيتَ من أمرها شيئاً ، فارفق بها » [1] .

يقول البيهقى : وقد روى حذيفة بن اليمان نحو ذلك ، وقد توفى قبل مسيرها ، وكان قد أخبر أبا الطفيل ، وعمر بن ضليع ، بمسير إحدى أمهات المؤمنين فى كتيبة ، ولا يقوله إلا عن سماع .

كما أخبرها صلى الله عليه وسلم أنها ستنبحها كلاب من الحوأب ، وأنها تُقْتَلُ حولها قتلى كثير ، فكان ذلك كله يوم الجمل .

كما أخبر صلى الله عليه وسلم بالفتن التى ستحدث بعده ، وأخبر عن تملك معاوية ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، كأن وجوههم المجان المطرّقة » - وفى رواية : « صغار الأعين ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة » [2] .

قال أبو عبد الله محمد بن عباد : بلغنى أن أصحاب بابل كانت نعالهم الشعر ، وقال البيهقى : هم قوم من الخوارج خرجوا فى ناحية الرى ، فأكثروا الفساد والقتل فى المسلمين حتى قوتلوا وأهلكهم الله عَزَّ وجَلَّ .

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة : أن النبى ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين ، فتكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة » (١) .

وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ، ويرث دنياكم شراركم » (٢) .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « تكون بين يدى الساعة فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً - أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً - يبيع أقوام دينهم بعَرَض من الدنيا » (٣) .

وعن جابر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ بين يدى الساعة كذَّابين » (٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينَا رسول الله ﷺ فى مجلس يحدِّث القوم إذ جاءه أعرابى فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ فى حديثه ، فقال بعض القوم : سمع ما قال ، فكره ما قال . وقال بعضهم : لم يسمع . حتى إذا قضى حديثه قال : « أين السائل عن الساعة » ؟ قال : هأنذا يا رسول الله . قال : « إذا ضُيعت الأمانة فأنتظر الساعة » قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وُسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (٥) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » (٦) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تمر الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه ويقول : ياليتنى مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدَيْن ، ما به إلا البلاء » (٧) .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) أخرجه الترمذى .
(٣) المرجع السابق .
(٤) أخرجه مسلم .
(٥) أخرجه البخارى .
(٦) أخرجه مسلم .
(٧) أخرجه مسلم .

وعن فضالة بن أبى فضالة الأنصارى - وكان أبو فضالة من أهل بدر - قال : خرجتُ مع أبى عائداً لعلىّ بن أبى طالب من مرض أصابه ثقل منه ، قال : فقال له أبى : وما يقيمك بمنزلك هذا ؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة .. تُحمل إلى المدينة ، فإن أصابك أجلك ، وليك أصحابك وصلّوا عليك .

فقال علىٌّ كرّم اللّه وجهه : إنّ رسول اللّه ﷺ عهد إلىّ أن لا أموت حتى أؤمر ، ثم تخضب هذه - يعنى لحيته - من دم هذه - يعنى هامته . فقُتِل ، وقُتِل أبو فضالة مع علىّ يوم صفين [1] .

وعن إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الملك بن عمير قال : قال معاوية : واللّه ما حملنى على الخلافة إلا قول النبى ﷺ لى : « يا معاوية ، إن ملكتَ فأحْسِن » .

قال البيهقى : إسماعيل بن إبراهيم - هذا - ضعيف عند أهل المعرفة بالحديث ، غير أن لهذا الحديث شواهد ، منها : حديث عمرو بن يحيى بن سعيد ابن العاص عن جده سعيد ، أنّ معاوية أخذ الإدواة فتبع رسول اللّه ﷺ فقال له : « يا معاوية ، إن وليتَ أمراً فاتق اللّه واعدل » ، قال : فما زلتُ أظن أنى مبتلىً بعمل لقول رسول اللّه ﷺ [2] .

والأخبار فى ذلك أكثر من أن تحصى ، يضطر الواقف عليها إلى العلم بنبوته صلى اللّه عليه وسلم .

ومن ذلك : أنه صلّى اللّه عليه وسلم أخبر بأن ابنته فاطمة رضى اللّه عنها ستكون أول أهله لحوقاً به ، وأن أم المؤمنين زينب بنت جحش ستكون أول نسائه لحوقاً به ... فوقع كما أخبر .

فعن عائشة رضى اللّه عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشى ، كأن مشيتها مشية

---

(١) رواه البيهقى وقال : ولهذا الحديث شواهد يقوى بشواهده .

(٢) المرجع السابق .

رسول الله ﷺ ، فقال : « مرحباً بابنتى » ، ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت ، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقرب من حزن ، فسألتها عما قال فقالت : ما كنتُ لأفشى سرَّ رسول الله ﷺ . فلما قُبِض سألتها ، فأخبرتنى أنه أسرَّ إلىَّ فقال : « إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة ، وإنه عارضنى العام مرتين ، وما أراه إلا حضر أجلى ، وأنك أول أهلى لحوقاً بى ، ونعْمَ السَلَف أنا لك » . فبكيت فقال : « ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين » [1] .

وفى رواية للبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « دعا النبى ﷺ فاطمة ابنته فى شكواه الذى قُبِض فيه ، فسارَّها بشئ فبكت ، ثم دعاها فسارَّها فضحكت . قالت : فسألتها عن ذلك فقالت : سارَّنى النبى ﷺ فأخبرنى أنه يُقبض فى وجعه الذى توفى فيه فبكيت ، ثم سارَّنى فأخبرنى أنى أول أهل بيته أتبعه فضحكت » [2] .

وتوفيت الزهراء رضى الله عنها بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر - هذا أصح ما قيل - وقيل : بثلاثة أشهر ، وقيل : عاشت بعده سبعين يوماً .

وما رؤيت رضى الله عنها ضاحكة بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى لحقت بالله عَزَّ وجَلَّ ، ووَجَدت عليه وَجْداً عظيماً [3] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً ، فكنا نتطاول أينا أطول يداً ، قالت : فكانت زينب أطولنا يداً لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق [4] .

وصدق الرسول ﷺ ، إذ كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش أول نسائه لحوقاً به ، فماتت رضى الله عنها فى سنة عشرين هجرية فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

---

(١) أسد الغابة : ٢٢٣/٧

(٢) رواه البخارى فى علامات النبوة .

(٣) أسد الغابة : ٢٢٥/٧

(٤) المرجع السابق : ١٢٦/٧

ومن المعجزات الغيبية : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأن أبا ذر رضى الله عنه سوف يموت وحيداً ..

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل فيقولون : يا رسول الله ، تخلّف فلان ، فيقول : دعوه ، إن يكن فيه خير فسيُلحقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

حتى قيل : يا رسول الله ، تخلّف أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ ما كان يقوله فتلوّم [1] أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً ، ونظر ناظر من المسلمين فقال : إنّ هذا الرجل يمشى على الطريق ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر ، فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُحشر وحده » [2] .

ومات أبو ذر رضى الله عنه فى العام الواحد والثلاثين الهجرى - أو الثانى والثلاثين - فى منفاه بالربذة حيث نفاه عثمان بن عفان .

● ومنها : إخباره بأن سراقة بن مالك سوف يلبس سوارى كسرى .

فعن الحسن أنّ رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك : « كيف بك إذا لبستَ سوارى كسرى » ؟

قال : فلما أُتىَ عمر رضى الله عنه بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، دعا بسراقة بن مالك فألبسه إياهما ، وكان سراقة رجلاً أزرب ، كثير شَعر الساعدين ، فقال له : ارفع يديك ، فقال : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول : أنا رب الناس ، وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم ، أعرابى من بنى مدلج . يرفع بها عمر صوته [3] .

---

(١) أى تمكّث وتمهّل .

(٢) أسد الغابة : ٦/١٠١

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى ترجمة سراقة .

● ومنها : إخباره بمكان الظعينة التى كانت تحمل كتاب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش ، فعن عبيد الله بن أبى رافع قال : سمعتُ علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه يقول : بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام والمقداد ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ [١] ، فإنّ بها ظعينة [٢] معها كتاب فخذوه منها فائتونى به » .

فخرجنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجى الكتاب ، فقالت : ما معى كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنجردن الثياب ، قال : فأخرجته من عقاصها [٣] فإذا به كتاب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرهم فيه ببعض أمر النبى ﷺ من غزو مكة [٤] .

● ومنها : إخباره أنّ أم حرام بنت ملحان سوف تموت فى الغزو .

فعن أنس بن مالك عن أم حرام بنت ملحان - وكانت خالته - أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نام - أو قال [٥] - فى بيتها ، فاستيقظ وهو يضحك ، وقال : « عُرِض علىّ ناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسِرّة » فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : « إنك منهم » .

ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقلت : يا رسول الله ، ما يضحكك ؟ فقال : « عُرِض علىّ ناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسِرّة » ، قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، قالت : « أنتِ من الأوّلين » .

فتزوجها عبادة بن الصامت فأخرجها معه ، فلما جاز البحر بها ركبت دابة فصرعتها فقتلتها [٦] .

---

(١) موضع بين مكة والمدينة .
(٢) وهى المرأة فى الهودج .
(٣) أى ضفائرها .
(٤) أسد الغابة : ١/٤٣٢
(٥) القيلولة : الاستراحة فى وسط النهار .
(٦) أسد الغابة : ٧/٣١٨

وكانت تلك الغزوة هى غزوة قبرص عام سبع وعشرين هجرية ، فى خلافة عثمان رضى الله عنه .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - أن أم ورقة ستموت شهيدة .

فعن عبد الرحمن بن خلاد الأنصارى ، عن أم ورقة بنت نوفل ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لما غزا بدراً قالت : قلت له : يا رسول الله ، ائذن لى فى الغزو معك ، أمرِّض مرضاكم ، لعل الله أن يرزقنى الشهادة ، قال : « قَرِّى فى بيتك ، فإن الله عَزَّ وجَلَّ يرزقك الشهادة » .

قال : فكانت تسمى « الشهيدة » وكانت قد قرأت القرآن ، واستأذنت النبى ﷺ أن تتخذ فى دارها مؤذناً ، فأذن لها ، وكانت قد دبرت غلاماً لها وجارية ، فقاما إليها بالليل فغمَّاها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا ، فأصبح عمر ، فقام فى الناس فقال : مَن عنده من هذين علم - أو مَن رآهما - فليجئ بهما ، فجئ بهما ، فأمر بهما فصلبا ، فكانا أول مصلوب بالمدينة [1] .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بقبر أبى رغال وما فيه من ذهب .

فعن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا قبر أبى رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج ، أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » . قال : فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن [2] .

● ومنها : إخباره بمكان ناقته حين ضلَّت ، فقد روى أن زيد بن اللصيت - من يهود بنى قينقاع - وكان ممن تعوَّذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، فقال حين ضلَّت ناقة رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسول الله ﷺ وجاءه الخبر بما قال

---

(١) رواه البيهقى ، وأبو داود .

(٢) رواه البيهقى .

عدو الله فى رحله ، ودلّ الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ على ناقته - قال : « إنّ قائلاً قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ! وإنى والله ما أعلم إلا ما علّمنى الله ، وقد دلّنى عليها ، فهى فى هذا الشِعْب ، قد حبستها شجرة بزمامها » . فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ (١) .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بسبب اللحم الذى صار حجراً .

فعن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : أهديت إلىّ قدرة من لحم ، فقلت للخادم : ارفعيها لرسول الله ﷺ حتى يجئ ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ فقلت للخادم : قرّبى إلى رسول الله ﷺ القدرة اللحم ، قالت : فجاءت بها ، فأرتها أم سلمة ، فإذا هى قد صارت مروة (٢) حجر ، قالت : فنظر رسول الله ﷺ فقال : « مالك يا أم سلمة » ؟ فقصت عليه القصة فقال : « لعله قام على بابكم سائل فأهنتموه » ؟ قالت : أجل يا رسول الله ، قال : « فإن ذاك لذاك » (٣) .

● ومن إخباره - صلى الله عليه وسلم - بالمغيبات : إخباره بإسلام أبى الدرداء ، فعن جبير بن نفير قال : كان أبو الدرداء يعبد صنماً فى الجاهلية ، وأن عبد الله ابن رواحة ، ومحمد بن مسلمة دخلا بيته فكسرا صنمه ، فرجع أبو الدرداء وجعل يجمع صنمه ويقول : ويحك ! ألا امتنعت ؟ ألا دفعت عن نفسك ؟ فقالت : أم الدرداء : لو كان ينفع أحداً ، أو يدفع عن أحد ، دفع عن نفسه ونفعها . فقال أبو الدرداء : أعدى لى فى المغتسل ماءً ، فجعلت له ماء ، فاغتسل ، وأخذ حلّته فلبسها ثم ذهب إلى النبى ﷺ ، فنظر إليه ابن رواحة مقبلاً ، فقال : هذا أبو الدرداء ، وما أراه جاء إلا فى طلبنا . فقال النبى ﷺ : « لا ، إنما جاء ليسلم ، وإن ربى وعدنى بأبى الدرداء أن يسلم » (٤) .

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة . (٢) وتجمع على « مرو » ، وهى الحجارة البيض البراقة .
(٣) رواه البيهقى ، وأبو نعيم . (٤) المرجع السابق .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - مَن قال فى نفسه شعراً فى الشكاية بذلك .. فعن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن أباه يريد أن يأخذ ماله ، فقال النبى ﷺ : ادعه إلىّ ، قال : فجاء ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ ابنك يزعم أنك تأخذ ماله » ، فقال : سله ، هل هو إلا عماته أو قراباته ، أو ما أنفقه على نفسى وعيالى ؟

فقال : فهبط جبريل الأمين عليه السلام ، فقال : يا رسول الله ، إنّ الشيخ قد قال فى نفسه شعراً لم تسمعه أذناه ، فقال رسول الله ﷺ : « قلتَ فى نفسك شعراً لم تسمعه أذناك » . فقال : لا يزال يزيدنا الله بك بصيرة ويقيناً ، نعم قلت ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

غَذَوتُكَ مولوداً ومنتُكَ يافعاً ... تُعَلُّ بما أُجنِى عَلَيْكَ وتُنْهَلُ

إذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بالسُّقْمِ لَمْ أبِتْ ... لِسُقْمِكَ إلا سَاهِراً أتَمَلْمَلُ

تَخَافُ الردَى نَفْسِى عَلَيْكَ وإنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أنَّ المَوْتَ حَتْمٌ مُوكَّلُ

كَأنِّى أنَا المَطْرُوقُ دُونَك بالَّذِى ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِى فَعَيْنَاىَ تَهْمُلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ والغَايَةَ التِى ... إلَيْكَ مَدَا مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِى غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأنَّكَ أنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أبُوَّتِى ... كَمَا يَفْعَلُ الجَارُ المُجَاوِرُ تَفْعَلُ

قال : فبكى صلى الله عليه وسلم وأخذ بتلابيب ابنه وقال : « أنت ومالك لأبيك »[1] .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بالسحابة التى أمطرت بوادٍ فى اليمن ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أصابتنا سحابة ولم يطلع فيها ، فخرج علينا النبى ﷺ فقال : « إنّ مَلَكاً موكلاً بالسحاب ، دخل علىّ آنفاً ،

---

(١) رواه البيهقى ، وأبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

فسلم علىّ ، فأخبرنى أنه يسوق بالسحاب إلى واد باليمن يقال له « صريح » فجاءنا راكب بعد ذلك ، فسألناه عن السحابة ، فأخبر أنهم مُطِروا فى ذلك اليوم [1] .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بهبوب الريح لموت منافق .. فعن جابر أنّ رسول الله ﷺ قدم من سفر ، فلما كان قرب المدينة ، هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب ، فزعم أن رسول الله ﷺ قال : « هذه الريح لموت منافق » ، فلما قدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات [2] .

● ومنها اخباره - صلى الله عليه وسلم - بهلاك المشرك السائل عن ذات الله عَزَّ وجَلَّ .. فعن أنس قال : أرسل رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله عَزَّ وجَلَّ ، فقال المشرك : هذا الإله الذى تدعو إليه من ذهب هو أو من فضة أو من نحاس ؟ فتعاظم مقالته فى صدر رسول رسول الله ﷺ ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : « ارجع إليه » ، فرجع إليه ، فقال له مثل ذلك ، فرجع إلى النبى ﷺ فأخبره ، فقال له : « ارجع إليه » ، فرجع إليه ، فقال له مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى صاعقة من السماء ورسول رسول الله ﷺ فى الطريق لا يدرى ، فرجع إلى النبى ﷺ فقال له النبى : « إن الله عَزَّ وجَلَّ قد أهلك صاحبك ، وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ .. ﴾ [3] .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بالكاذب عليه للذين أرسلهما وراءه : أنهما لن يدركاه ، فلم يدركاه .

فعن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى قرية من قرى الأنصار فقال : إنّ رسول الله ﷺ أرسلنى إليكم ، وأمركم أن تزوجونى فلانة . قال : فقال رجل من أهلها : جاءكم هذا بشئ ما نعرفه من رسول الله ﷺ ، أنزلوا الرجل وأكرموه حتى آتيكم بخبر ذلك ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك ، فأرسل النبى ﷺ علياً والزبير ، فقال : « اذهبا فإن أدركتماه فاقتلاه ، ولا أراكما تدركانه » .

---

(١) رواه البيهقى . (٢) أخرجه مسلم . (٣) الرعد : ١٣

قال : فذهبا ، فوجداه قد لدغته حية فقتلته ، فرجعا إلى النبى ﷺ ، فأخبراه ، فقال النبى ﷺ : « مَن كذب علىّ فليتبوأ مقعده من النار » [١] .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - الرجل بجبذته .. فعن أبى سهم قال : مرت بى امرأة فى المدينة ، فأخذت بكشحها ، ثم أطلقتها ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناس ، فأتيته ، فلم يبايعنى فقال : « صاحب الجبذة بالأمس » ؟ قال : قلت : والله لا أعود ، فبايعنى .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بالشاة التى أُخذت بغير إذن أهلها وامتناعه من أكلها .. فعن عاصم بن كليب ، عن أبيه عن رجل من الأنصار ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة ، فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصى الحافر : « أوسع قِبَل رجليه ، أوسع من قِبل رأسه » ، فلما رجع استقبله داعى امرأة ، فجاء وجئ بالطعام فوضع يده ، ثم وضع القوم ، فأكلوا ، فنظرنا إلى رسول الله ﷺ يلوك لقمة فى فمه ، ثم قال : « أجد لحم شاة أُخِذت بغير إذن أهلها » ، فأرسلت المرأة قالت : يا رسول الله ، إنى أرسلت إلى البقيع يُشتَرى لى شاة فلم أجد ، فأرسلت إلى جار لى قد اشترى شاة أن أرسل إلىّ بثمنها ، فلم يوجد ، فأرسلت إلى امرأته ، فأرسلت إلىّ بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطعميه الأسارى » [٢] .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - السائل ما أراد أن يسأله قبل سؤاله .. فعن وابصة الأسدى قال : جئتُ لأسأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم ؟ فقال من قبل أن أسأله : « يا وابصة ، تسألنى عن البر والإثم » ؟ قلت : إى والذى بعثك بالحق ، إنه للذى جئتُ أسألك عنه ، فقال : « البر : ما انشرح له صدرك ، والإثم : ما حاك فى نفسك وإن أفتاك عنه الناس » [٣] .

---

(١) أخرجه الطحاوى بنحوه فى « مشكل الآثر » من حديث بريدة بسند صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٣٣٣٢) فى البيوع : باب « فى اجتناب الشبهات » وإسناده صحيح .

(٣) ذكره البيهقى فى الدلائل ، ورواه أحمد فى المسند ، والمرفوع منه فى صحيح مسلم بنحوه من حديث النواس بن سمعان .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأن ذؤيب بن كليب ألقى فى النار .. فقد روى ابن وهب عن ابن لهيعة : أن ذؤيب بن كليب بن ربيعة الخولانى ، كان أول مَن أسلم باليمن ، فسماه النبى ﷺ « عبد الله » ، وكان الأسود الكذاب قد ألقاه فى النار لتصديقه بالنبى ﷺ ، فلم تضره النار ، وذكر النبى ﷺ لأصحابه ، فهو شبيه إبراهيم عليه السلام (١) .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - عن رجل من أمته يتكلم بعد موته ، وأنه من خير التابعين .. فعن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « يتكلم رجل من أمتى بعد الموت ، من خير التابعين » .

روى البيهقى ، عن ربعى بن حراش قال : أُتيتُ فقيل لى : إنَّ أخاك قد مات ، فجئت ، فوجدت أخى مسجى عليه ثوب ، وأنا عند رأسه أستغفر له ، وأترحم عليه ، إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، فقلت : وعليكَ السلام ، فقلنا : سبحان الله ، أبعد الموت ؟ قال : بعد الموت ، إنى قدمت على الله عَزَّ وجَلَّ بعدكم ، فتلقيت بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، وكسانى ثياباً خضراً من سندس واستبرق ، ووجدت الأمر أيسر مما تظنون ، لا تتكلوا ، إنى استأذنت ربى أن أخبركم وأبشركم ، فاحملونى إلى رسول الله ﷺ ، فقد عُهِدَ إلىَّ أن لا أبرح حتى ألقاه ، ثم طفئ كما هو .

يقول البيهقى : هذا إسناد صحيح لا يشك حديثى فى صحته .

وفى رواية قال : فبلغ عائشة رضى الله عنها فقالت : صدق أخو بنى عبس ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يتكلم رجل من أمتى بعد الموت من خير التابعين » (٢) .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - على مَن احتكر بالجذام .. فعن فروخ مولى عثمان ، قال : ألقى على باب مسجد مكة طعام كثير ، وعمر

---

(١) رواه ابن عبد البر : وابن لهيعة : ضعيف .

(٢) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

يومئذ أمير المؤمنين ، فخرج إلى المسجد فرأى الطعام ، فقال : ما هذا الطعام ؟ قالوا : طعام جُلب إلينا ، قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه ، قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد احتُكِر ، قال : مَن احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان ، وفلان مولاك . فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام ، أو بالإفلاس » .

قال فروخ : أعاهد الله يا أمير المؤمنين أن لا أعود ، فحوّل تجارته إلى برّ مصر ، وأما مولى عمر ، فقال : نشترى بأموالنا ونبيع ، فزعم أبو يحيى أنه رأى مولى عمر بعد حين مجذوماً .

قال البيهقى : وكذلك رواه جماعة عن الهيثم وأبو يحيى مولى [1] .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - على كاتب الوحى حين ارتد .. فعن أنس قال : كان رجل نصرانياً فأسلم ، فقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب الوحى للنبى ﷺ ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدرى محمد إلا ما كتبتُ له ، فقال رسول الله ﷺ : « اللّهم اجعله آية » . فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض ، فقالوا مثل الأول ، فحفروا وأعمقوا ، فلفظته الثالثة ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه بين حجرين ورضموا عليه الحجارة [2] .

● ومنها : رؤياه - صلى الله عليه وسلم الغنم - ، وتأويلها ، وتصديق ذلك .. فعن عمرو بن شرحبيل قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى رأيتُ الليلة كأنى تتبعنى غنم سود ، ثم أردفتها غنم بيض ، حتى لم تُر السود فيها » ، فقصّها على أبى بكر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، هى العرب تتبعك ، ثم أردفتها العجم ، حتى لم يروا فيها . قال : « أجل ، كذلك عبرُها المَلَك سَحَراً » .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١٣٥) ، ورواه ابن ماجه (٢١٥٥) ، مختصراً ، وقال البوصيرى : إسناده صحيح ورواته موثقون .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

● ومنها : رؤياه - صلى الله عليه وسلم - الخلفاء بعده ، فكان كما رآه .. فعن جابر بن عبد الله : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « أرى الليلة رجل صالح ، كأن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بن الخطاب بأبى بكر ، ونيط عثمان بن عفان بعمر » ، قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا : أما الرجل الصالح ، فرسول الله ﷺ ، وأما نوط بعضهم ببعض ، فهم ولاة الأمر الذى بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم (١) .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - علياً كرَّم الله وجهه بولادة غلام يسميه باسمه وكنيته .. فعن علىَ كرَّم الله وجهه قالَ : قال لى رسول الله ﷺ : « سيولد لك بعدى ولد ، وقد نحلته اسمى وكنيتى » .. فوُلِد لعلىَ كرَّم الله وجهه من الحنفية محمد ابن الحنفية (٢) .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - للسائب بن يزيد .. فعن السائب ابن يزيد قال : ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إنَّ ابن أختى وجع ، فمسح رأسى ، ودعا لى بالبركة ، فتوضأ ، فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة .

يقول الجعد : رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين ، جَلْداً معتدلاً ، فقال : قد علمتُ ما متعتُ به سمعى وبصرى إلا بدعاء رسول الله ﷺ (٣) .

● ومنها : دعاؤه لجابر بالبركة فى ثمره فبورك له .. فعن جابر بن عبد الله قال : توفى أبى وعليه دَيْن ، فعرضتُ على غرمائه أن يأخذوا الثمر بما عليه ، فأبوا ، ولم يروا بأن فيه وفاء ، فأتيتُ النبى ﷺ ، فذكرتُ ذلك له ، فقالَ : « إذا جَدَدتَه فوضعته فآذِنى » ، فلما وضعته فى المربد ، آذنتُ رسول الله ﷺ ، فجاء ومعه أبو بكر وعمر ، فجلس عليه ، ودعا بالبركة ، ثم قال : « ادع غرماءك ، فأوفهم » ، فما تركتُ أحداً له دَيْن على أبى إلا قضيته ، وفضل ثلاثة عشر وسقاً ، سبعة عجوة ، وستة لون - أو ستة عجوة وسبعة لون -

---

(١) أخرجه أبو داود . (٢) رواه البيهقى . (٣) أخرجه البخارى ومسلم .

فوافيت رسول الله ﷺ المغرب ، فذكرت له ذلك ، فضحك وقال : « ائت أبا بكر وعمر ، فأخبرهما » ، فقالا : قد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك [١] .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - بالبركة لحمل أم سليم .. فعن أنس بن مالك قال : كان لأم سليم من أبى طلحة ابن ، فمرض مرضه الذى مات فيه ، فلما مات ، غطته أمه بثوب ، فدخل أبو طلحة ، فقال : كيف أمسى ابنى ؟ فقالت : أمسى هادئاً ، فتعشى ، ثم قالت له فى بعض الليل : أرأيتَ لو أنَّ رجلاً أعارك عارية ، ثم أخذها منك إذن جزعت ؟ فقال : لا ، فقالت : إنَّ الله أعارك ابنك وقد أخذه منك .

قال : فغدا إلى النبى ﷺ ، فأخبره بقولها ، وقد كان أصابها تلك الليلة ، فقال رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما فى ليلتكما » . قال : فولدت له غلاماً كان اسمه عبد الله ، قال : فذكروا أنه كان من خير أهل زمانه .

ورواه عباية بن رافع عن أنس ، وقال عباية : لقد رأيتُ لذلك الغلام سبعة بنين ، كلهم قد قرأوا القرآن [٢] .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - لأبى زيد عمرو بن أخطب .. فعن أبى زيد الأنصارى قال : قال لى رسول الله ﷺ : « ادن منى » ، فمسح بيده على رأسى ولحيتى ، ثم قال : « اللهم جَمِّله وأدم جماله » .

قال الراوى عنه : فبلغ بضعاً ومائة سنة وما فى لحيته بياض إلا نبذة يسيرة ، ولقد كان منبسط الوجه ، ولم ينقبض وجهه حتى مات [٣] .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ، فكثر ماله حتى صولحت امرأة من نسائه من رُبع الثُّمُن على ثمانين ألفاً ..

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى والبيهقى .
(٣) أخرجه أحمد فى المسند ، ورواه البيهقى .

فعن أنس : أنَّ رسول الله ﷺ رأى على عبد الرحمن أثر صفرة ، فقال : « ما هذا يا أبا محمد » ؟ قال : تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، قال : « بارك الله لك ، أَوْلِمْ ولو بشاة » (١) .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - للرجل : « ضرب الله عنقه » فقُتِل فى سبيل الله .. فعن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى أنمار ، فذكر الحديث فى الرجل الذى عليه ثوبان قد خَلَقا ، وله ثوبان فى العَيْبَة ، فأمره النبى ﷺ فلبسهما ، ثم ولى يذهب ، فقال رسول الله ﷺ : « ما له ضرب الله عنقه ، أليس هذا خيراً » ؟ فسمعه الرجل فقال : يا رسول الله ، فى سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ : « فى سبيل الله » ، فقُتِل الرجل فى سبيل الله (٢) .

● ومنها : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - لأمته فى بكورها وظهور أثر ذلك لمن فعله معتقداً .. فعن صخر الغامدى قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يبعث سرية إلا بعثهم فى أول النهار . قال الراوى : وكان صخر رجلاً تاجراً ، فكان يبعث غلمانه فى أول النهار ، فأثرى وكثر ماله ، حتى لم يدر أين يضعه (٣) .

● ومنها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأمور غيبية حين أرادوا اختباره .. فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حضرت عصابة من اليهود - يعنى رسول الله ﷺ - يوماً ، فقالوا : يا أبا القاسم ، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى . قال : « سلونى عما شئتم ، ولكن اجعلوا لى ذمة الله وما أخذ يعقوب على نبيه ، لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعنى على الإسلام » ؟ قالوا : فذلك لك . قال : « سلونى عما شئتم » .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البيهقى ومالك .
(٣) رواه أحمد فى المسند ، والترمذى فى البيوع ، والبيهقى فى دلائل النبوة .

قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن .. أخبرنا أى الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟

وأخبرنا كيف ماء المرأة من ماء الرجل ، وكيف يكون الذكر منه ، وكيف تكون الأنثى .

وأخبرنا كيف هذا النبى الأمى فى النوم ، ومَن وليه من الملائكة !

قال : « فعليكم عهد الله لئن أنا أخبرتكم لتتابعنى » ؟ فأعظموه ما شاء من عهد وميثاق .

قال : « فأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل (يعقوب) مرض مرضاً شديداً وطال سقمه منه ، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرِّمن أحب الشراب إليه ، وأحب الطعام إليه ، فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها » ؟

قالوا : اللّهم نعم . قال : « اللّهم اشهد عليهم » ..

قال : فأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أنَّ ماء الرجل أبيض غليظ ، وأنَّ ماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله » ؟

قالوا : اللّهم نعم . قال : « اللّهم اشهد عليهم » .

قال : « فأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أنَّ هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه » ؟

قالوا : اللّهم نعم . قال : « اللّهم اشهد عليهم » .

قالوا : أنت الآن ، فحدِّثنا عن وليك من الملائكة ، فعندها نجامعك أو نفارقك ، قال : « فإنّ وليى جبريل ، ولم يُبعث نبى قط إلا هو وليه » . قالوا : فعندها

نفارقك ، لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدّقناك . قال : « فما يمنعكم من أن تصدّقوه » ؟ قالوا : إنه عدونا ، فعند ذلك قال الله عزّ وجلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .. فعند ذلك باءوا بغضب على غضب (٢) .

* * *

● المعجزات الحسية للرسل عليهم السلام :

شهدت الرسالات السماوية الكثير من المعجزات الحسية التى يجريها الله تعالى على أيدى أنبيائه ورسله ليؤيد بها دعواهم ، ولكى يؤمن بها الماديون الذين لا تنفتح أعينهم إلا على الأدلة التى يلمسونها بأيديهم ، ولا تقتنع عقولهم إلا بالبراهين المادية والآيات المحسوسة الملموسة .

● معجزة صالح عليه السلام :

وعلى سبيل المثال : كانت معجزة صالح عليه السلام هى الناقة .. يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (٣) .

---

(١) البقرة : ٩٧ - ٩٨ (٢) رواه ابن سعد . (٣) هود : ٦٣ - ٦٦

وثمود قبيلة مشهورة من العرب العاربة يسكنون الحِجْر الذى بين الحجاز وتبوك ، سميت باسم جدهم « ثمود » أخى جديس ، وهما ابنا عاثر بن إرم بن سام بن نوح . وكانوا بعد قوم عاد ، وكانوا يعبدون الأصنام مثلهم .. فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله « صالح بن عبيد الله بن ماسح بن عبيد ابن حادر بن ثمود » عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ، ولا يشركوا به شيئاً . فآمنت به طائفة منهم ، وكفر جمهورهم ، ونالوا منه بالمقال والفعال ، وهموا بقتله ، وقتلوا الناقة التى جعلها الله تعالى حُجَّة عليهم ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

وقد قص الله تعالى نبأهم علينا فى سور : الأعراف ، وهود ، والحِجْر ، والإسراء ، والشعراء ، والنمل ، وفصلت ، والقمر ، والشمس .

وكثيراً ما يقرن الله تعالى فى كتابه بين ذكر عاد وثمود ، كما فى سورة التوبة ، وإبراهيم ، والفرقان ، وسورة ص ، وسورة ق ، والنجم ، والفجر .

ويقال إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب ، وليس لهما ذكر فى كتابهم التوراة ، ولكن فى القرآن ما يدل على أن موسى أخبر عنهما كما قال تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ ﴾ ... الآية [1] .

الظاهر أن هذا من تمام كلام موسى مع قومه ، ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرهما جيداً ، ولا اعتنوا بحفظه ، وإن كان خبرهما كان مشهوراً فى زمان موسى عليه السلام .

والمقصود الآن ذكر قصتهم وما كان من أمرهم ، وكيف نجى الله تعالى نبيه

---

(١) إبراهيم : ٨ - ٩

صالحاً عليه السلام ومَن آمن به ، وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوهم ، ومخالفتهم رسولهم عليه السلام .

كان قوم ثمود عرباً - كما قدَّمنا - وكانوا بعد عاد ، ولم يعتبروا بما كان من أمرهم ، ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام : إنَّ اللّه تعالى إنما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من أمرهم ، وتعملوا بخلاف عملهم ، وأباح لكم هذه الأرض تبنون فى سهولها القصور ، وجعلكم حاذقين فى صنعتها وإتقانها وإحكامها ، فقابِلوا نعمة اللّه بالشكر والعمل الصالح ، والعبادة له وحده لا شريك له ، وإياكم ومخالفته والعدول عن طاعته ، فإن عاقبة ذلك وخيمة .

ووعظهم بقوله : إنَّ اللّه هو الذى خلقكم فأنشأكم من الأرض ، وجعلكم عمَّارها ، أى أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار ، فهو الخالق الرزاق ، وهو الذى يستحق العبادة وحده لا ما سواه ، فأقْلِعوا عما أنتم فيه ، وأقبلوا على عبادته ، فإنه يقبل منكم ويتجاوز عنكم .

فما كان منهم إلا أن سخروا منه بقولهم : إنَّا كنا نرجو أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة ، وهى دعاؤك إيانا إلى إفراد العبادة ، وترك ما كنا نعبده من الأنداد ، والعدول عن دين الآباء والأجداد .

وتلطف صالح - عليه السلام - بهم فى العبارة وآلان لهم جانبه ، فقال لهم : فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ؟ ماذا عذركم عند اللّه ؟ وماذا يخلصكم من بين يديه وأنتم تطلبون منى أن أترك دعاءكم إلى طاعته ، وأنا لا يمكننى هذا لأنه واجب علىَّ ، ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرنى منه ولا ينصرنى . فأنا لا أزال أدعوكم إلى اللّه وحده لا شريك له ، حتى يحكم اللّه بينى وبينكم .

ولكن القوم استمروا فى طغيانهم وكفرهم ، واتهموه بأنه مسحور لا يدرى ما يقول فى دعائه إياهم إلى إفراد العبادة للّه وحده ، وخلع ما سواه من الأنداد ، ثم سألوه أن يأتيهم بخارق يدل على صدق ما جاءهم به ..

وقد ذكر المفسرون أن ثموداً اجتمعوا يوماً فى ناديهم ، فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام فدعاهم إلى الله تعالى ، وذكّرهم وحذّرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له : إن أنت أخرجتَ لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - ناقة ، من صفتها كيت وكيت - وذكروا أوصافاً سموها وتفننوا فيها ، وأن تكون عشراء طويلة ، من صفتها كذا وكذا ..

فقال لهم النبى صالح عليه السلام : أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذى طلبتم ، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقونى فيما أُرسلت به ؟ قالوا : نعم . فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك .

ثم قام إلى مصلاه فصلّى لله عَزَّ وجَلَّ ما قُدِّر له ، ثم دعا ربه عَزَّ وجَلَّ أن يجيبهم إلى ما طلبوا ، فأمر الله عَزَّ وجَلَّ تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء ، على الوجه المطلوب الذى طلبوا ، أو على الصفة التى نعتوا .

فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلاً ، وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً . فآمن كثير منهم ، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم ، فجحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها ، أى أكثرهم .

وكان رئيس الذين آمنوا « جندع بن عمرو » وكان من رؤسائهم وهم بقية الأشراف بالإسلام فصدهم « ذؤاب بن عمرو » و « الحباب » صاحب أوثانهم ، و « رباب بن صعر » . ودعا « جندع » ابن عمه « شهاب بن خليفة » - وكان من أشرافهم - فهمّ بالإسلام فنهاه أولئك . فمال إليهم . ولهذا قال لهم صالح عليه السلام : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾ أضافها لله سبحانه وتعالى إضافة تشريف وتعظيم ، كقوله : بيت الله وعبد الله ﴿ لَكُمْ آيَةً ﴾ أى دليلاً على صدق ما جئتكم به ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ .

فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ، ترعى حيث شاءت من أرضهم ، وترد الماء يوماً بعد يوم ، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر

يومها ذلك ، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء فى يومهم لغدهم . ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ، ولهذا قال : ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (١) .

أرسل اللّه تعالى الناقة إليهم اختباراً لهم أيؤمنون بها أم يكفرون - واللّه أعلم بما يفعلون - فلما طال عليهم هذا الحال اجتمع علماؤهم ، واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ، ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم ، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ، وتحدوه قائلين : يا صالح ائتنا بما تعدنا .

وكان الذى تولى قتلها منهم رئيسهم « قدار بن سالف » ، وكان أحمر أزرق أصهب ، وكان يقال إنه ولد زانية ولد على فراش « سالف » ، وهو ابن رجل يقال له « صبيان » ، وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم ، فلهذا نُسِب الفعل إليهم كلهم .

وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين : أنّ امرأتين من ثمود ، اسم إحداهما « صدوق » ابنة « المحيا بن زهير » ، وكانت ذات حسب ومال ، وكانت تحت رجل من أسلم ففارقته ، فدعت ابن عم لها يقال له « مصرع بن مهرج » وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة . واسم الأخرى « عنيزة بنت غنيم » وتكنى « أم غنمة » وكانت عجوزاً كافرة ، لها بنات من زوجها « ذؤاب ابن عمرو » أحد الرؤساء ، فعرضت بناتها الأربع على « قدار بن سالف » ، إن هو عقر الناقة فله أى بناتها شاء ، فانتدب هذان الشابان لعقرها وسعوا فى قومهم بذلك ، فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة ، وهم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴾ (٢) وسعوا فى بقية القبيلة وحسّنوا لهم عقرها ، فأجابوهم إلى ذلك وطاوعوهم فى ذلك . فانطلقوا يرصدون الناقة ، فلما صدرت من وردها كمن لها « مصرع » فرماها بسهم فانتظم عظم ساقها ، وجاء النساء يذمرون (٣) القبيلة فى قتلها ،

---

(١) الشعراء : ١٥٥ (٢) النمل : ٤٨ (٣) أى يحضضن ويشجعن .

وحسرن عن وجوههن ترغيباً لهم فى ذلك فابتدرهم « قدار بن سالف » ، فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة إلى الأرض ، ورغت رغاة واحدة عظيمة تحذر ولدها ، ثم طعن فى لبتها فنحرها ، وانطلق سقبها - وهو فصيلها - فصعد جبلاً منيعاً ورغا ثلاثاً .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عمن سمع الحسن أنه قال : يارب ، أين أمى ؟ ثم دخل فى صخرة فغاب فيها . ويقال : بل اتبعوه فعقروه أيضاً .

عن عبد الله بن زمعة قال : خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذى عقرها فقال : « إذ انبعث أشقاها : انبعث لها رجل عارم [١] عزيز [٢] منيع [٣] فى رهطه ، مثل أبى زمعة » [٤] .

وعن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلىّ كرّم الله وجهه : « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ قال : بلى . قال : « رجلان ، أحدهما أحيمر ثمود الذى عقر الناقة ، والذى يضربك يا علىّ على هذا - يعنى قرنه - حتى تبتل منه هذه - يعنى لحيته » [٥] .

يقول الله تعالى : ﴿ فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٦] ، فجمعوا فى كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه : فقد خالفوا الله ورسوله فى ارتكابهم النهى الأكيد فى عقر الناقة التى جعلها الله لهم آية ، واستعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه ، وكذّبوا الرسول الذى قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه ، وهم يعلمون ذلك علماً جازماً ، ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم .

---

(١) عارم : أى سهم .
(٢) عزيز : أى رئيس .
(٣) منيع : أى مطاع فى قومه .
(٤) رواه أحمد فى المسند .
(٥) رواه ابن أبى حاتم .
(٦) الأعراف : ٧٧

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (١) أى غير يومهم ذلك ، فلم يصدقوه أيضاً فى هذا الوعد الأكيد . بل لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا أن يلحقوه بالناقة : ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ (٢) أى لنكبسنه فى داره مع أهله فلنقتلنه ، ثم نجحدن قتله ، ولننكرن ذلك إن طالبنا أولياؤه بدمه ، ولهذا قالوا : ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٣) .

يقول اللّه تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُواْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

وذلك أنّ اللّه تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح حجارة رضختهم فأهلكهم سلفاً وتعجيلاً قبل قومهم ، وأصبحت ثمود يوم الخميس - وهو اليوم الأول من أيام النظرة - ووجوههم مصفرة ، كما أنذرهم صالح عليه السلام . فلما أمسوا نادوا بأجمعهم : ألا قد مضى يوم من الأجل ، ثم أصبحوا فى اليوم الثانى من أيام التأجيل - وهو يوم الجمعة - ووجوههم محمرة ، فلما أمسوا نادوا : ألا قد مضى يومان من الأجل . ثم أصبحوا فى اليوم الثالث من أيام المتاع - وهو يوم السبت - ووجوههم مسودة ، فلما أمسوا نادوا : ألا قد مضى الأجل .

فلما كان صبيحة يوم الأحد ، تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنقمة ، لا يدرون كيف يُفعل بهم ، ولا من أى جهة يأتيهم العذاب .

---

(١) هود : ٦٥ (٢) النمل : ٤٩

(٣) النمل : ٤٩ (٤) النمل : ٥٠ - ٥٣

فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ، ورجفة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات ، وخشعت الأصوات ، وحقت الحقائق ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين ، جثثاً لا أرواح فيها ولا حراك بها . قالوا : ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها « كلبة بنت الساق » - ويقال لها « الذريعة » - وكانت شديدة الكفر والعداوة لصالح عليه السلام ، فلما رأت العذاب أطلقت رجلاها ، فقامت تسعى كأسرع شئ ، فأتت حياً من العرب فأخبرتهم بما رأت وما حلّ بقومها واستسقتهم ماءً ، فلما شربت ماتت .. يقول الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ (١) .

وقال جَلَّ شأنه : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ﴾ أى لم يقيموا فيها فى سعة ورزق وغناء ﴿ أَلا إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ، أَلا بُعْداً لِّثَمُودَ ﴾ (٢) أى نادى عليهم لسان القدر بهذا .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لما مرَّ رسول الله ﷺ بالحِجْر قال : « لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالح فكانت - أى الناقة - ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله بها من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان فى حرم الله » فقالوا : مَن هو يا رسول الله ؟ قال : « هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » (٣) .

* *

(١) الشمس : ١١ - ١٥ (٢) هود : ٦٨

(٣) رواه أحمد - وانظر البداية والنهاية لابن كثير (بتصرف) .

● معجزة موسى عليه السلام :

وكانت معجزة موسى عليه السلام فى يده وفى عصاه .

يقول اللّه تعالى : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ (٢) . أمره اللّه تعالى بإدخال يده فى جيبه ، ثم أمره بنزعها فإذا هى تتلألأ كالقمر بياضاً من غير سوء ، أى من غير برص ولا بهق .

ويقول جلّ شأنه عن العصا : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ، فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

ويقول سبحانه : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ، فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤) .

ويقول جلّ وعلا : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ، فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾ (٥) .

فالعصا حين يلقيها موسى عليه السلام بين يدى فرعون وملأه تنقلب حية تلقف حبال وعصى آل فرعون الذين سحروا بها أعين الناس فخيل إليهم من سحرها أنها تسعى ، ثم تعود عصا كما كانت لم تزد شبراً .

وحين يضرب بها البحر ينفلق اثنى عشر طريقاً ، لكل سبط من أسباط بنى إسرائيل طريق يسيرون فيه ، وماء البحر حولهم قائماً مثل الجبال ، حتى إذا ما نجا بنو إسرائيل من كيد فرعون وبطشه ، يعود البحر لينطبق - بضربة ثانية من عصا موسى - على فرعون وجنده فيغرقهم أجمعين .

---

(١) القصص : ٣٢ (٢) النمل : ١٢ (٣) الأعراف : ١١٧ - ١١٨
(٤) الشعراء : ٦٤ (٥) البقرة : ٦٠

وحين يضرب بها الحجر الذى كانوا يحملونه معهم - بأمر من ربه - يتفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، لكل سبط عين منه تنبجس ، ثم تتفجر ماءً زلالاً فيستقون ويشربون ويسقون دوابهم ، ويدخرون كفايتهم ..

ومن قبل .. أيَّد الله تعالى موسى عليه السلام بمعجزات باهرة وحجج قاطعة - إلى جانب معجزة اليد والعصى - علَّه يرتدع عن كفره وضلاله ، ولكنه أبَى إلا الإقامة على الكفر والتمادى فى الشر ، والاستمرار على الضلال والجهل .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ، أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ (١) .

يخبرنا جلَّ شأنه أنه ابتلى آل فرعون - وهم قومه - بالسنين وهى أعوام الجدب التى لا يستغل فيها زرع ولا ينتفع بضرع ، وقلة الثمار من الأشجار ، فلم ينتفعوا ولم يرتدعوا ، بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم .

فأرسل الله تعالى عليهم الطوفان ، وهو كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار ، كما ابتلاهم بالطاعون وكثرة الموت ، ثم سلَّط عليهم الجراد والقُمَّل والضفادع والدم .

أما الجراد فمعروف ، وأما القُمَّل : فعن ابن عباس رضى الله عنهما - أنه السوس الذى يخرج من الحنطة ، وقيل : هو صغار الجراد الذى لا أجنحة لها ، وقيل : هو دواب سود صغار ، وقيل : هو البراغيث . وحكى ابن جرير عن أهل العربية : أنها الحمنان ، وهو صغار القردان فوق القمامة . فدخل معهم البيوت

---

(١) الأعراف : ١٣٠ - ١٣٣

والفرش ، فلم يقر لهم قرار ، ولم يمكنهم معه الغمض ولا العيش . وفسَّره عطاء ابن السائب بهذا القمل المعروف .

وأما الضفادع فمعروفة ، لبستهم حتى كانت تسقط فى أطعمتهم وأوانيهم ، حتى إن أحدهم إذا فتح فاه لطعام أو شراب سقطت فيه ضفدعة من تلك الضفادع .

وأما الدم فكان قد مزج ماؤهم كله به ، فلا يستقون من النيل شيئاً إلا وجدوه دماً طرياً ، ولا من نهر ولا بئر ولا شئ إلا كان دماً فى الساعة الراهنة .

هذا كله ولم ينل بنى إسرائيل من ذلك شئ بالكلية ، وهذا من تمام المعجزة الباهرة ، والحُجَّة القاطعة ، أن هذا كله يحصل لهم عن فعل موسى عليه السلام ، فينالهم عن آخرهم ، ولا يحصل هذا لأحد من بنى إسرائيل ، وفى هذا دليل أدل دليل .

أما الآيات التسع التى ذكرها اللّه تعالى فى سورة الإسراء فهى : العصا ، واليد البيضاء ، والطوفان ، والجراد والضفادع والقُمَّل والدم ، ونقص الثمار ، وفلق البحر ، وانبجاس الماء من الحجر ، ونتق الجبل كأنه ظُلَّة ، وخطابه لربه .

يقول اللّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾ (١) .

كذلك جعل اللّه تعالى بعض بقرة مذبوحة - قيل : بلحم فخذها ، وقيل : بالعظم الذى يلى الغضروف ، وقيل : بالبضعة التى بين الكتفين .. جعل اللّه من هذا الجزء الميت من البقرة آية لموسى ، فنطق القتيل من بنى إسرائيل باسم قاتله ، سأله موسى عليه السلام : مَن قتلك ؟ قال : قتلنى ابن أخى ، ثم عاد ميتاً كما كان .

---

(١) الإسراء : ١٠١ - ١٠٢

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ، وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

أى كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له ، كذلك أمره فى سائر الموتى ، إذا شاء أحياهم فى ساعة واحدة كما قال : ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (٢) .

* *

● معجزة المسيح عليه السلام :

وكانت معجزة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله .

يقول الله تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

يخبرنا الله تعالى أنه بعث المسيح عليه السلام رسولاً إلى بنى إسرائيل ، مستدلاً على صدق رسالته بمعجزات من الله ، هى أن يصوِّر لهم من الطين صورة مثل صورة الطير ، ينفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائراً بإرادة الله تعالى ، ويشفى بتقدير الله مَن ولد أعمى فيبصر ، ومَن به برص فيزول برصه ، ويعيد الحياة إلى مَن فقدها .. كل ذلك بإذن الله وإرادته ، ويخبرهم بما يدخرون

---

(١) البقرة : ٧٢ - ٧٣ (٢) لقمان : ٢٨ (٣) آل عمران : ٤٩

فى بيوتهم من مأكول وغيره ، ويقول لهم إن هذه الآيات التى أظهرها الله على يديه حُجَّة على أن رسالته حق .

يقول الإمام ابن كثير رضى الله عنه :

« لقد كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث الله بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهى إليه وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لا يمكن صدوره إلا عمن أيَّده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له ، أسلموا سراعاً ولم يتلعثموا .

وهكذا عيسى ابن مريم بُعِثَ فى زمن الطبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، أنّى لحكيم إبراء الأكمه الذى هو أسوأ حالاً من الأعمى ، والأبرص والمجذوم ومَن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟ هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق مَن قامت به وعلى قدرة مَن أرسله » .

ومن قبل كانت معجزة سليمان فى تسخير الريح له ، وتكليمه للطير والحيوان وتسخير الجن له ..

* * *

● المعجزات الحسيَّة للرسول ﷺ :

وقد أُوتِىَ نبينا صلى الله عليه وسلم من المعجزات ، وجُمِع له من الآيات ما لم يُجمع لأحد من الأنبياء قبله ، ولم يُعْطَ أحد مثله ، فكان لذلك أوضحهم دلالة ، وأعمّهم رسالة ، ولذلك لم يُعْط الله نبياً من الأنبياء معجزة إلا أعطى نبينا محمداً ﷺ مثلها ، أو أوضح منها ، أو ما يقاربها .

ومن هذه المعجزات : انشقاق القمر ، وحبس الشمس له ، ونبع الماء وتكثيره ، وتكثير الطعام ببركته ، وكلام الشجر وكثير من الجمادات وشهادتها له بالنبوة ،

وكلام ضروب من الحيوان وتسخيرهم ، وإحياء الموتى ، وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة ، وإبراؤه - صلى الله عليه وسلم - المرضى وذوى العاهات ، وإجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ، وعصمة الله له ممن أراد كيده ، وغير ذلك من المعجزات التى لا يحصيها العد ، و لا يحيط بها الحصر . لذا نقتصر من هذه المعجزات على ما تناقله علماء الأمصار والعدول من نقلة الأخبار ، مما صح نقله ، واشتهر ذكره وحمله .

● انشقاق القمر :

من المعجزات الحسيَّة للرسول الله ﷺ أن كفار قريش سألوه - صلى الله عليه وسلم - آية ، وهو بمنى ، فأراهم انشقاق القمر ، فصار فرقتين ، حتى رأوا جبلى « حراء » بينما . وقال ابن مسعود : صار فرقتين ، فرقة فوق الجبل وفرقة تحته ، فقال النبى ﷺ : « اشهدوا » ، فآمن وصدَّق مَن أراد الله نجاته ، وقال كفار قريش : هذا سحر مستمر . فقال أبو جهل : هذا سحر ، فابعثوا إلى أهل الآفاق ، حتى ننظر ، أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل مكة : أنهم رأوه منشقاً .

فأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْاْ آيَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ (١) ، وهذا الحديث قد نقله الجم الفقير ، والعدد الكثير ..

فعن أنس بن مالك قال : « إنَّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين » (٢) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقتين ، فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا .. اشهدوا » (٣) .

وفى رواية لمسلم : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى ، إذ انفلق القمر فلقتين : فلقة وراء الجبل ، وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « اشهدوا » .

---

(١) القمر : ١ - ٣ (٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) رواه البخارى ومسلم .

وفى أخرى لمسلم : فستر الجبل فلقة ، وكانت فلقة فون الجبل .

وفى أخرى له : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر .

كما رواه من الصحابة : ابن عباس ، وابن عمر ، وحذيفة ، وعلىّ ، وجبير بن مطعم وغيرهم ، رضى الله عنهم .

وقد نقل إلينا من القرآن نقلاً متواتراً ، محصلاً للعلم ، يخبر عن ذلك المعنى من الانشقاق كما ذكرناه آنفاً ، فصحّت الآية ، وعُلِمَت المعجزة والحمد لله .

وقد يقول قائل : كيف يصح هذا ؟ ولو كان هذا لم يخف على أهل الأرض ، إذ هو شئ ظاهر لجميعهم ، ولو ظهر إليهم انتقل عنهم ، ولكان مشهوراً منقولاً على التواتر .

ونقول : هذا الاستبعاد الوهمى يندفع بأيسر أمر ، وذلك أن هذه الآية كانت آية ليلية ، والناس على عادتهم المستمرة : الغالب عليهم النوم ، ومَن كان منهم منتبهاً ، كان منهم مَن قد انصرف عن ذلك ببعض أشغالهم ، وكان معهم أيضاً مَن رآه على ما حكيناه عن أهل آفاق مكة .

وأيضاً : فلعله إنما كان ذلك فى أول طلوع القمر ، ولا شك أن الناس تختلف رؤيتهم للقمر وغيره من الكواكب بحسب اختلاف ارتفاع البلاد والأقاليم وانخفاضها ، فليس كل مَن فى معمور الأرض يراه فى وقت واحد ، بل يختلف ذلك فى حقهم ، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين ، وقد يطلع على قوم لا يشاهده الآخرون ، وقد يحول بين قوم وبينه سحاب ، أو جبال .

ولهذا تجد الكسوفات فى بعض البلاد دون بعض ، ويكون فى بعضها جزئية ، وفى بعضها كلية ، وفى بعضها لا يعرفها إلا المشتغلون بعلم ذلك ، ولا يحس بها غيرهم ، لا سيما وهذه الآية كانت بالليل ، والعادة من الناس ما تقدَّم من الهدوء والسكون ، وإيجاف الأبواب وقطع التصرف ، ولا يكاد يعرف شيئاً من آيات السماء إلا مَن رصد واهتبل .

وكثيراً ما يحدّث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار وشهب ونجوم طوالع عظام تظهر فى أحيان من السماء ، ولا علم عند أحد غيرهم منها .

وانشقاق القمر من هذا القبيل ، إذ لم يكن دائماً ، وإنما كان يسيراً فى زمن قريب ، ثم لا يبعد أن يكون اللّه تعالى صرف الناس فى تلك الساعة عن النظر إليه ، لتختص هذه الآية بمشاهدة أهل مكة ، ومَن جاورها من أهل الآفاق ، فيكون صرف الناس عن ذلك من قبيل خوارق العادات ، وذلك أوضح فى المعجزات ، فقد صحّ ما رمناه ، وانفصلنا عما ألزمناه .

وعند الوقوف على هذه المعجزة الظاهرة ، والآية الباهرة ، تعلم أنها أعظم من انشقاق البحر ، الذى خصّ اللّه تعالى به موسى عليه السلام ، وإن كان عظيماً ، إذ انشقاق البحر لم يكن قطعاً فى معظم البحر ، من إحدى ضفتيه إلى الأخرى ، وإنما كان قطع طريق من بحر القلزم إلى مفارشود ، والقمر انقسم فرقتين ، وصار شطرين (١) .

*

● حبس الشمس :

ومنها ما روى أنّ النبى ﷺ كان يوحى إليه ، ورأسه فى حجر علىّ كرّم اللّه وجهه ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فلما ارتفع الوحى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال له : « يا علىّ ، أصليتَ العصر » ؟ قال : لا ، فقال رسول اللّه ﷺ : « اللّهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد » قال الراوى : فرأيتها غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصهباء فى خيبر (٢) .

---

(١) انظر الإعلام ، للإمام القرطبى - مرجع سابق : ٣٤٨/٣

(٢) ذكره الطحاوى من طريقين ، قال عياض : وهذان الطريقان ثابتان ، رواتهما ثقات . حكاه البكرى .

ومن هذا القبيل ما ذكره « يونس بن بكير » فى زيادة المغازى ، روايته عن ابن إسحاق : « لما أسرى برسول الله ﷺ ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير التى رأى فى مسراه ، قالوا له : متى تجئ ؟ فقال لهم : « يوم الأربعاء » فلما كان يوم الأربعاء الموعود به ، أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولى النهار ، ولم تجئ ، فدعا رسول الله ﷺ ربه ، فزيد له فى النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس .

وهذه الآية أعظم من آية « يشوع بن نون » فأهل الكتاب يقولون إن « يشوع » استوقف الشمس فوقفت ، وفى بعض كتبهم : إنما استوقف ضياها ، فى حين أن نبينا عليه السلام استرجعها فرجعت ، واستزاد ساعة فى النهار فزيدت .

ولا يعترضن معترض من أهل الكتاب على هذه المعجزة بشئ ، لأنه لو اعترض لعارضناه بمعجزة يشوع ، فبالذى ينفصل على معجزة يشوع بمثله منفصل عما اعترض به ، وإن كان طبيعياً غير متشرع [1] .

*

● نبع الماء وتكثيره :

وهذه المعجزة مثل معجزة موسى عليه السلام ، التى هى نبع الماء من الحجر ، وزاد عليه نبع الماء من بين أصابعه ، فكان انفجار الماء من اللحم أعجب من انفجاره من الحجارة .

وذلك أنهم رووا : أن الحجر الذى كان تنفجر منه المياه ، إنما كان حجراً واحداً حمله موسى معه ، فى حين أن الرسول الله ﷺ كان يقول : « ايتونى بإناء - أى إناء كان - وبماء - أى ماء كان » .

روى أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم وليس فى العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ، ليس فى العسكر

---

(١) انظر الإعلام - للقرطبى - مرجع سابق : ٣/ ٣٥.

ماء ، قال : « هل عندك شئ » ؟ قال : نعم . قال : « فأتنى به » . قال : فأتاه بإناء فيه شئ من ماء قليل ، فجعل رسول الله ﷺ أصابعه فى فم الإناء وفتح أصابعه ، قال : فانفجرت من بين أصابعه عيون ، وأمر بلالاً فقال : « ناد فى الناس : الوضوء المبارك » [1] .

● وعن ثابت قال : قلت لأنس : يا أبا حمزة ، حدِّثنا من هذه الأعاجيب شيئاً شهدته ولا تحدثه عن غيرك ، قال : صلّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر يوماً ، ثم انطلق حتى قعد على المقاعد التى كان يأتيه عليها جبريل ، فجاء بلال فنادى بالعصر ، فقام كل مَن كان له بالمدينة أهل يقضى الحاجة ويصيب فيها الوضوء ، وبقى رجال من المهاجرين ليس لهم أهل بالمدينة ، فأُتى رسول الله ﷺ بقدح أروح فيه ماء ، فوضع رسول الله ﷺ كفه فى الإناء ، فما وسع الإناء كف رسول الله ﷺ كلها ، فقال بهؤلاء الأربع فى الإناء - أى أدخل فيه أصابعه الأربع - ثم قال : « ادنوا فتوضأوا » - ويده فى الإناء - فتوضأوا حتى ما بقى منهم أحد إلا توضأ ، قال : فقلت : يا أبا حمزة ، كم تراهم ؟ قال : ما بين السبعين والثمانين [2] .

● وعن عبد الله بن رباح ، عن أبى قتادة قال : خطبنا رسول الله ﷺ عشية فقال : « إنكم تسرون عشيتكم هذه وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غداً » ، فانطلق الناس لا يلوى بعضهم على بعض ، فإنى لأسير إلى جنب النبى ﷺ حين ابهار الليل ، إذ نعس النبى ﷺ فمال على راحلته ، فدعمته - أى أسندته - من غير أن أوقظه ، فاعتدل على راحلته ، ثم سرنا ثم تهور الليل ، فنعس النبى ﷺ فمال على راحلته ميلة أخرى ، فدعمته من غير أن أوقظه ، فاعتدل على راحلته ، ثم سرنا حتى إذا كان من آخر السَحَر مال ميلة هى أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد أن ينجفل فدعمته ، فرفع رأسه فقال : « من هذا » ؟ فقلت : أبو قتادة . قال : « متى كان هذا من مسيرك منى » ؟ قلت : ما زال

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٢٢٦٨) .

(٢) رواه ابن سعد فى الطبقات .

هذا مسيرى منك منذ الليلة . قال : « حفظك الله بما حفظت نبيه به » . ثم قال : « أترانا نخفى على الناس ؟ هل ترى من أحد » ؟ - كأنه يريد أن يعرس . قال : قلت : هذا راكب ، ثم قلت : هذا راكب ، فاجتمعنا - وكنا سبعة ركبة - فمال النبى عليه السلام عن الطريق ، فوضع رأسه ثم قال : احفظوا علينا صلاتنا ، فكان أول ما استيقظ هو بالشمس ، فقمنا فزعين قال : « اركبوا » ، فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل ، فدعا بميضأة كانت معى فيها ماء ، فتوضأنا وضوء دون وضوء ، وبقى فيها شئ من ماء . فقال النبى ﷺ : « يا أبا قتادة ، احفظ علينا ميضأتك هذه فإنه سيكون لها نبأ ، ثم نودى بالصلاة ، فصلى النبى ﷺ ركعتين قبل الفجر ، ثم صلى الفجر كما كان يصلى كل يوم ، ثم قال : « اركبوا » ، فركبنا ، فجعل بعضنا يهمس إلى بعض ، فقال النبى ﷺ : « ما هذا الذى تهمسون دونى » ؟ قال : قلنا : يا رسول الله ، تفريطنا فى الصلاة . قال : فقال : « أما لكم فىَّ أسوة ؟ إنه ليس فى النوم تفريط ، ولكن التفريط على مَن لم يصل الصلاة حتى يجئ وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصل حين ينتبه لها ، فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها » .

ثم قال : « ما ترون الناس صنعوا » ؟ ثم قال : « أصبح الناس فقدوا نبيهم » . فقال أبو بكر وعمر : رسول الله يعدكم لم يكن ليخلفكم . فقال الناس : النبى عليه السلام بين أيديكم ، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يُرشَدوا .

فانتهينا إلى الناس حين حمى كل شئ - أو قال : حين تعالى النهار - وهم يقولون : يا رسول الله ، هلكنا عطشاً . قال : « لا هلك عليكم » . فنزل وقال : « أطلقوا لى غُمَرى - يعنى بالغُمَر القعب الصغير - ودعا بالميضأة ، فجعل النبى ﷺ يصب وأسقيهم ، فلما رأى الناس ما فيها تكابوا ، فقال النبى ﷺ : « أحسنوا الملأ فكلكم سيروى » . قال : فجعل النبى ﷺ يصب وأسقيهم حتى ما بقى غيرى وغيره ، قال : فصبَّ وقال : « اشرب » ، قال : فقلت : يا رسول الله ، لا أشرب حتى تشرب ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ ساقى القوم آخرهم » ، قال : فشربتُ وشربَ النبى ﷺ ، قال : فأتى الناس الماء جامين رواءً .

قال عبد الله بن رباح - راوى الحديث - إنى لفى مسجدكم هذا الجامع أحدِّث هذا الحديث إذ قال عمران بن حصين : انظر أيها الفتى ، انظر كيف تحدِّث فإنى أحد الركب تلك الليلة ، قال : قلت : يا أبا نجيد ، فأنت أعلم . قال : ممن أنت؟ قال : قلت : من الأنصار . قال : فأنتم أعلم بحديثكم ، حدِّث القوم . قال : فحدَّثت القوم فقال عمران : وقد شهدتُ تلك الليلة وما شعرتُ أن أحداً من الناس حفظه كما حفظته [1] .

● ومن ذلك : أن الناس عطشوا يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه وقالوا : ليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك ، فوضع النبى ﷺ يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، وكانوا خمس عشرة مائة ، قالوا : ولو كنا مائة ألف لكفانا .

● ومنها : ما اتفق له - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية أيضاً ، ورواه البراء وسلمة بن الأكوع ، وذلك أنهم أتوا الحديبية وهم أربع عشرة مائة ، وبئرها لا تروى خمسين شاة ، فنزحوها فلم يتركوا فيها شيئاً ، فقعد رسول الله ﷺ على بئرها ، فبصق ودعا ، وأخرج سهماً من كنانته ، فوضعه فى البئر ، فجاشت العين بماء كثير ، فأرووا أنفسهم وركابهم ، وهم ألف وأربعمائة .

● ومنها : ما اتفق فى غزوة تبوك ورواه معاذ ، وذلك أنهم وردوا عيناً بتبوك ، وهى تبض بشئ من ماء ، مثل الشراك ، فغرفوا من العين بأيديهم ، حتى اجتمع منه شئ قليل ، ثم غسل النبى ﷺ فيه وجهه ويديه ، وأعاده فيها ، فجرت بماء كثير فاستقى الناس .

يقول ابن إسحاق : فانخرق الماء ما له حس كحس الصواعق . ثم قال رسول الله ﷺ : « يوشك يا معاذ ، إن طالت بك حياة ، أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً » .

وكذلك صنع ذلك الموضع جناناً بعده صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

● وعن عمران بن حصين : أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فأصابهم عطش شديد ، فوجّه رجلين من أصحابه وأعلمهم أنهم يجدون امرأة بمكان كذا - لمكان معيَّن عيَّنه لهم - معها بعير ، عليه مزادتا ماء ، فوجداها بالموضع الذى عيَّن لهما على الصفة التى ذكر لهما ، فجاءا بها إلى النبى ﷺ ، فأخذ من ماء المزادتين ، وقال فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم أعاد الماء فى المزادتين ، ثم فتحهما وأمر الناس فملأوا أسقيتهم ، حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملأوه .

قال عمران : إنهما لم يزدادا إلا امتلاءً ، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها ، ثم قال لها : « اذهبى ، فإنّا ما نقصناكِ من مائكِ شيئاً ، ولكن الله سقانا » .

● ومن ذلك : حديث عمر فى جيش العُسْرة ، وذكر ما أصابهم من العطش ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، فرغب أبو بكر للنبى ﷺ فى الدعاء ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت ، فملأوا ما معهم من آنية ، ولم يجاوز ذلك المطر العسكر .

● ومن ذلك : حديث « عمرو بن شعيب » أنَّ أبا طالب قال للنبى ﷺ - وهو ردفه بذى المجاز - : عطشتُ ، وليس عندى ماء ، فنزل النبى ﷺ فضرب بقدمه الأرض فخرج الماء ، فقال له : « اشرب » .

● ومنه : ما رواه ابن سعد عن أنس بن مالك قال : إنى لقائم عند المنبر يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ يخطب ، إذ قال بعض أهل المسجد : يا رسول الله ، حُبِس المطر وهلكت المواشى ، فادع الله أن يسقينا . فرفع رسول الله ﷺ يديه وما نرى فى السماء من سحاب ، فألّف الله بين السحاب فوبلتنا حتى رأيت الرجل الشديد تهمه نفسه أن يأتى أهله ، قال : فمطرنا سبعاً لا تقلع ، حتى الجمعة الثانية ورسول الله ﷺ يخطب ، فقال بعض القوم : يا رسول الله ، تهدمت البيوت وحُبِس السُّفّار ، فادع الله أن يرفعها عنا ، فرفع رسول الله ﷺ

يديه فقال : « اللّهم حوالينا ولا علينا » ، قال : فتقوّر ما فوق رؤوسنا منها كأنّا فى إكليل ، يمطر ما حولنا ولا نمطر [1] .

والأحاديث من هذا النوع كثيرة ، رويت من طرق عديدة ، لا يتطرق لها الكذب ، ولم يردها أحد من أهل العقل والأدب ، لكونها وقعت فى جموع كثيرة ، وتناقلها جماعات عديدة ، يدينون تحريم الكذب ، ويرونه أقبح شبهة وأشنع سبب ، بل يبادرون إلى ذم الكاذب وإظهار فضيحته ، ولا يقرون شيئاً من الكذب بحال عند معرفته .

*

● تكثير الطعام ببركته صلى اللّه عليه وسلم :

وهذا النوع من المعجزات هو من قبيل ما نقلت النصارى عن المسيح عليه السلام فى الإنجيل ، وذلك أنهم زعموا أنه أطعم من خمس خبز وحوتين : خمسة آلاف رجل سوى النساء ، وهو من قبيل ما ثبت أن موسى عليه السلام أطعم بنى إسرائيل بالمفاز « المن والسلوى » .

ومنها نعلم أنه صلى اللّه عليه وسلم أعطاه اللّه عَزَّ وجَلَّ من المعجزات مثل ما كان أعطى الأنبياء قبله ، وزاده على ذلك . ولا يسع أهل الكتاب من اليهود والنصارى الاعتراض على هذا النوع من المعجزات فقد أوتى أنبياؤهم شيئاً منها ، وإلا انسحب الاعتراض عليهم .

والأخبار فى هذا الباب كثيرة ، يطول الكتاب بنقلها ، على أنه لا يجهل شئ منها ، بل هى عند المسلمين معروفة منقولة ، مشهورة موصوفة .

● ومن ذلك : ما رواه علىّ بن أبى طالب كرّم اللّه وجهه قال : أمر رسول اللّه ﷺ خديجة - وهو بمكة - فاتخذت له طعاماً ، ثم قال لعلىّ : « ادع لى بنى عبد المطلب » ، فدعا أربعين ، فقال لعلىّ : « هلم طعامك » ، قال

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

على ً : فأتيتهم بثريدة إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، فأكلوا منها جميعاً حتى أمسكوا ، ثم قال : « اسقهم » فسقيتهم بإناء هو رى أحدهم ، فشربوا منه جميعاً حتى صدروا ، فقال أبو لهب : لقد سحركم محمد ، فتفرقوا ولم يدعهم ، فلبثوا أياماً ثم صنع لهم مثله ، ثم أمرنى فجمعتهم فطعموا ، ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم : « مَن يؤزرنى على ما أنا عليه ويجيبنى على أن يكون أخى وله الجنة » ؟ فقلت : أنا يا رسول الله - وإنى لأحدثهم سناً وأحمشهم ساقاً ، وسكت القوم ثم قالوا : يا أبا طالب ، ألا ترى ابنك ؟ قال : دعوه ، فلن يألو ابن عمه خيراً [1] .

● وروى ابن سعد عن شيخ من بنى جمح قال : لما أتى النبى ﷺ أم معبد قال : « هل من قِرَى » ؟ قالت : لا . قال : فانتبذ هو وأبو بكر وراح ابنها بشويهات فقال لأمه : ما هذا السواد الذى أرى منتبذاً ؟ قالت : قوم طلبوا القِرَى فقلت ما عندنا من قِرَى ، فأتاهم ابنها فاعتذر وقال : إنها امرأة ضعيفة ، وعندنا ما تحتاجون إليه . فقال رسول الله ﷺ : « فائتنى بشاة من غنمك » ، فجاء فأخذ عناقاً ، فقالت أمه : أين تذهب ؟ قال : سألانى شاة ، قالت : يصنعان بها ماذا ؟ قال : ما أحبا .

فمسح النبى ﷺ ضرعها وضرتها فتحفلت ، فحلب حتى ملأ قعباً وتركها أحفل ما كانت وقال : « انطلق بنا إلى أمك وائتنى بشاة أخرى من غنمك » فأتى أمه بالقعب فقالت : أنّى لك هذا ؟ قال : من لبن الفلانة ، قالت : وكيف ولم تقر سلاً قط ؟ أظن هذا واللات الصابئ الذى بمكة ، وشربت منه ، ثم جاءه بعناق أخرى فحلبها حتى ملأ القعب ، ثم تركها أحفل ما كانت ، ثم قال له : « اشرب » ، فشرب ، ثم قال : جئنى بأخرى ، فأتاه بها فحلب وسقى أبا بكر ثم قال : « جئتنى بأخرى » ، فأتاه بها فحلب ثم شرب وتركهن أحفل ما كن .

● ومن ذلك : خبره فى تزويج « زينب » رضى الله عنها ، وذلك أنه أمر خادمه « أنساً » أن يدعو له الناس فدعاهم ، فاجتمعوا ، حتى امتلأ البيت

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

والحجرة ، وقدم إليه توراً من حجارة فيه حيس ، أهدته له « أم سليم » فقال لهم رسول الله ﷺ : « ليتحلق عشرة عشرة ، وليأكل كل إنسان مما يليه » . قال : فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ودخلت طائفة أخرى حتى أكلوا كلهم . وكنت - قال أنس - لم أدع إنساناً إلا دعوته . قال أنس : ثم قال لى : « ارفع التور » فرفعته ، فما أدرى حين وضعت كان أكثر ، أم حين رفعت ؟

● ومنها : ما رواه أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شئ ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته فى يدى وردتنى ببعضه ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ . قال : فذهبتُ به إليه فوجدتُ رسول الله ﷺ جالساً فى المسجد ومعه الناس ، قال : فقمت عليهم فقال رسول الله ﷺ : « أرسلك أبو طلحة » ؟ فقلت : نعم ، قال : « بطعام » ؟ فقلت : نعم . فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » ، قال : فانطلقوا فانطلقت بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، قالت أم سليم : الله ورسوله أعلم ، قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه حتى دخلا ، فقال رسول الله ﷺ : « هلمى يا أم سليم ما عندك » . فأتيته بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففتَّ وعصرت أم سليم بعكة [1] لها فأدمته ، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً [2] .

● ومنها : ما رواه سمرة بن جندب قال : كنا مع النبى ﷺ نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل ، تقوم عشرة وتقعد عشرة ، قلنا : فما كانت تَمَد ؟

---

(١) العكة : إناء من جلد يحفظ فيه الدهن . (٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

قال : من أى شئ تعجب ؟ ما كانت تَمَد إلا من ههنا ، وأشار بيده إلى السماء [١] .

● ومنها : ما رواه جابر رضى الله عنه قال : إنّا كنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت لنا كدية شديدة [٢] ، فجاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : « أنا نازل » ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبى ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل - أو أهيم - فقلت : يا رسول الله ، ائذن لى إلى البيت ، فقلت لامرأتى : رأيتُ بالنبى ﷺ ما عن ذلك صبر ، فعندكِ شئ ؟ فقالت : عندى شعير وعناق [٣] ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئتُ النبى ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافى قد كادت تنضج ، فقلت : طعيم لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو » ؟ فذكرت له فقال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى » فقال : « قوموا » ، فقام المهاجرون والأنصار ، فدخلتُ عليها فقلت : ويحكِ ، جاء النبى ﷺ والمهاجرون والأنصار ومَن معهم ! قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، قال : « ادخلوا ولا تضاغوا » . فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرِّب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا ، وبقى منه فقال : « كلى وأهدى فإن الناس أصابتهم مجاعة » [٤] .

وفى رواية : قال جابر : لما حفر الخندق رأيت بالنبى ﷺ خمصاً ، فانكفأت إلى امرأتى فقلت : هل عندكِ شئ ؟ فإنى رأيتُ برسول الله ﷺ خمصاً شديداً ، فأخرجت إلىّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بُهَيمة داجن فذبحتها ، وطحنت الشعير ، ففرغت إلى فراغى وقطعتها فى برمتها ، ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٢) أى صخرة .
(٣) أى عنزة صغيرة .
(٤) متفق عليه .

فقالت : لا تفضحنى برسول الله ﷺ ومَن معه . فجئته فساررته فقلت : يا رسول الله ، ذبحنا بُهَيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل الخندق ، إنَّ جابراً قد صنع سؤراً فحيعلا بكم » ، فقال النبى ﷺ : « لا تُنزِلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينكم حتى أجئ » ، فجئتُ وجاء النبى ﷺ يقدم الناس ، حتى جئتُ امرأتى فقالت : بك وبك ! فقلت : قد فعلتُ الذى قلتِ ، فأخرجت عجيننا فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادعِ خابزة فلتخبز معك ، واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها ، وهم ألف ، فأقسم باللهِ لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإنّ برمتنا لتغط كما هى ، وإنّ عجيننا ليخبز كما هو .

● ومنها : ما رواه عبد الرحمن بن أبى بكر قال : كنا مع النبى ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبى ﷺ : هل مع أحد منكم طعام ، فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعجن ، ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانٌ [١] طويل بغنم يسوقها ، فقال النبى ﷺ : « أبيعاً أم عطية ؟ - أو قال : أم هدية - قال : لا ، بل بيع ، فاشترى منه شاة ، فصنعت ، وأمر النبى ﷺ بسواد البطن [٢] أن يُشوى ، قال : وإيم الله ما من الثلاثين والمائة إلا قد حزّ [٣] رسول الله ﷺ حُزَّة من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاها إياه ، وإن كان غائباً خبأ له ، قال : وجعل منها قصعتين ، قال : فأكلنا أجمعون وشبعنا ، وفضل فى القصعتين فجعلناه على البعير [٤] .

● ومن هذه المعجزات ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما : « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل « مر الظهران » [٥] فى عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول : ما يتباعثون [٦] من العجف [٧] ، فقال

---

(١) مشعان - بضم الميم وسكون الشين وتشديد النون : هو المنتفش الشعر الثائر الرأس .

(٢) سواد البطن : هو الكبد ، كما فى النهاية .

(٣) الحز : القطع ، والحُزة - بضم الحاء - : القطعة من اللحم ونحوه .

(٤) رواه أحمد فى المسند (٣ . ١٧) .

(٥) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة .

(٦) يتباعثون : من البعث وأصله الإثارة .

(٧) العجف : ذهاب السمن والهزال .

أصحابه : لو انتحرنا [١] من ظهرنا [٢] ، فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة [٣] قال : « لا تفعلوا ، ولكن اجمعوا لى من أزوادكم » فجمعوا له ، وبسطوا الأنطاع [٤] ، فأكلوا حتى تولوا ، وحثا كل واحد منهم فى جرابه ، ثم أقبل رسول اللّه ﷺ حتى دخل المسجد ، وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطبع [٥] بردائه ، ثم قال : لا يرى القوم فيكم غميزة [٦] ، فاستلم الركن ، ثم دخل حتى إذا تغيب بالركن الشمالى مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشى إنهم لينقزون [٧] نقز الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف ، فكانت سُنَّة » .

قال أبو الطفيل : « وأخبرنى ابن عباس أنَّ النبى ﷺ فعل ذلك فى حجة الوداع » [٨] .

● ومنها : ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال علىّ كرّم اللّه وجهه : بتنا ليلة بغير عشاء ، فأصبحت فخرجت ، ثم رجعت إلى فاطمة رضى اللّه عنها وهى محزونة ، فقلت : مالك ؟ فقالت : لم نتعش البارحة ولم نتغد اليوم وليس عندنا عشاء ! ، فخرجت فالتمست فأصبت ما اشتريت طعاماً ولحماً بدرهم ، ثم أتيتها به فخبزت وطبخت ، فلما فرغت من انضاج القدر قالت : لو أتيتَ أبى فدعوته ، فأتيتُ رسول اللّه ﷺ وهو مضطجع فى المسجد ، وهو يقول : « أعوذ باللّه من الجوع ضجيعاً » ! فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول اللّه ، عندنا طعام

---

(١) انتحرنا : من النحر ، يريد : نحرنا .

(٢) من ظهرنا : الظهر الإبل التى يُحمل عليها وتُركب .

(٣) جمامة : أى راحة وشبع وري .

(٤) الأنطاع : جمع نطع : بساط من جلد يجعل كالمائدة .

(٥) اضطبع بردائه : هو أن يأخذ الرداء فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهة صدره وظهره ، وسمى بذلك لإبداء الضبعين .

(٦) الغميزة : العيب من الغمز ، والمغامز : المعايب .

(٧) النقز : الوثبان صعداً من مكان .

(٨) رواه أحمد فى المسند (٢٧٨٣) .

فهلم ، فتوكأ عليّ حتى دخل والقدر تفور فقال : « اغرفى لعائشة » ، فغرفت فى صحفة ، ثم قال : « اغرفى لحفصة » ، فغرفت فى صحفة ، حتى غرفت لجميع نسائه التسع ، ثم قال : « اغرفى لابنك وزوجك » ، فغرفت ، فقال : « اغرفى فكلى » ، فغرفت . ثم رفعت القدر وإنها لتفيض فأكلنا منها ما شاء الله .

● ومنها : ما رواه ابن هشام فى السيرة : أن ابنة لبشير بن سعد - أخت النعمان بن بشير - قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ثم قالت : أى بنية ، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها فانطلقتُ بها فمررتُ برسول الله ﷺ وأنا التمس أبى وخالى ، فقال : « تعالى يا بنية ، ما هذا معك » ؟ قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه . قال : « هاتيه » . قالت : فصببته فى كفى رسول الله ﷺ فما ملأتها ، ثم أمر بثوب فَبُسِطَ له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اخرج فى أهل الخندق ، أن هلم إلى الغداء » . فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

● ومنها : ما روى عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى قال : حدثنى أبى قال : كنا فى غزاة [1] ، فأصاب الناس مخمصة ، فاستأذن الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نحر بعض ظهرهم ، وقالوا : يبلغنا الله به ، فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ هم أن يأذن لهم فى نحر بعض ظهرهم ، قال : يا نبى الله ، كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غداً جياعاً رجالاً ، ولكن إن رأيت أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم فتجمعها ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله سيبلغنا بدعوتك - أو سيبارك لنا فى دعوتك - فدعا رسول الله ﷺ ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يجيئون بالحثية من الطعام وفوق ذلك ، وكان أعلاهم مَن جاء بصاع من تمر ، فجمعها رسول الله ﷺ ثم قام فدعا بما شاء الله أن يدعو ،

---

(١) هى غزوة تبوك .

ثم دعا الجيش بأوعيتهم وأمرهم أن يحثوا ، فما بقى فى الجيش وعاء إلا ملأوه وبقى منه ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : « أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأشهد أنى رسول الله ، لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة » (١) .

● ومنها : ما رواه ثابت رضى الله عنه قال : جعلت امرأة من الأنصار طعيماً لها ، ثم قالت لزوجها : اذهب إلى رسول الله ﷺ فادعه وأسرُّه إلى رسول الله ﷺ ، قال : فجاء فقال : يا رسول الله ، إن فلانة قد صنعت طعيماً ، وإنى أحب أن تأتينا ، فقال رسول الله ﷺ للناس : « أجيبوا أبا فلان » ، قال : فجئتُ وما تكاد تتبعنى رجلاى لما تركتُ عند أهلى ، ورسول الله ﷺ قد جاء بالناس ، قال : فقلت لامرأتى : قد افتضحنا ، هذا رسول الله ﷺ قد جاء بالناس معه ، قالت : أوَ ما أمرتك أن تُسر ذلك إليه ؟ قال : قد فعلت ، قالت : لرسول الله ﷺ أعلم .

فجاءوا حتى ملأوا البيت وملأوا الحجرة وكانوا فى الدار ، وجئ بمثل الكف فوضعت ، فجعل رسول الله ﷺ يبسطها فى الإناء ، ويقول ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : « ادنوا فكلوا ، فإذا شبع أحدكم فليُخل لصاحبه » . قال : فجعل الرجل يقوم والآخر يقعد ، حتى ما بقى من أهل البيت أحد إلا شبع ، ثم قال : ادع لى أهل الحجرة ، فجعل يقعد قاعد ويقوم قائم حتى شبعوا ، ثم قال : ادع لى أهل الدر ، فصنعوا مثل ذلك ، قال : وبقى مثل ما كان فى الإناء ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « كلوا وأطعموا جيرانكم » (٢) .

● ومنها : ما رواه أبو هريرة قال : والله الذى لا إله إلَّا هو ، إنْ كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمرَّ بى النبى ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، ثم قال : « أبا هرٍ » ،

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

(٢) المرجع السابق .

قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « إلحق » . ومضى فتبعته ، فدخل فاستأذنت فأذن لى فدخلت ، فوجد لبناً فى قدح فقال : « من أين هذا اللبن » ؟ قالوا : أهداه لك فلان - أو فلانة - قال : « أباهر » ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « إلحق إلى أهل الصُفَّة فادعهم لى » .

قال : وأهل الصُفَّة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ، ولا على أحد ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها . فساءنى ذلك فقلت - أى فى نفسه - وما هذا اللبن فى أهل الصُفَّة ، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاءوا وأمرنى فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت .

قال : « يا أباهر » ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « خذ فأعطهم » . قال : فأخذتُ القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علىَّ القدح ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علىَّ القدح ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علىَّ القدح ، حتى انتهيتُ إلى النبى ﷺ ، وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إلىَّ فتبسم ، فقال : « أباهر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « بقيتُ أنا وأنت » قلت : صدقتَ يا رسول الله ، قال : « اقعد فاشرب » ، فقعدتُ فشربت ، فقال : « اشرب » فشربت ، فما زال يقول : « اشرب » حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً ، قال : « فأرنى » ، فأعطيته القدح ، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضل [1] .

● ومنها : ما رواه نافع : أنه كان مع رسول الله ﷺ فى زهاء أربعمائة رجل ، فنزل بنا على غير ماء ، فكأنه اشتد على الناس ورأوا رسول الله ﷺ نزل فنزلوا ، إذ أقبلت عنز تمشى حتى أتت رسول الله ﷺ محددة القرنين ، قال :

---

(١) رواه البخارى .

فحلبها رسول اللّه ﷺ ، قال : فأروى الجند وروى ، قال : ثم قال : « يا نافع ، املكها ، وما أراك تملكها » قال : فلما قال رسول اللّه ﷺ : « وما أراك تملكها » قال : فأخذت عوداً فركزته فى الأرض ، قال : وأخذت رباطاً فربطتُ الشاة فاستوثقتُ منها ، قال : ونام رسول اللّه ﷺ ونام الناس ونمت ، قال : فاستيقظت فإذا الحبل محلول وإذا لا شاة ، قال : فأتيتُ رسول اللّه ﷺ فأخبرته قال : قلت : الشاة ذهبت . قال : فقال رسول اللّه ﷺ : « يا نافع ، أما أخبرتك أنك لا تملكها ؟ إنّ الذى جاء بها هو الذى ذهب بها » (١) .

● ومنها : ما رواه سالم بن أبى الجعد قال : بعث رسول اللّه ﷺ رجلين فى بعض أمره فقالا : يا رسول اللّه ، ما معنا ما نتزوده ، فقال : « ابتغيا لى سقاء » ، فجاءاه بسقاء قال : فأمرنا فملأناه ثم أوكاه وقال : اذهبا حتى تبلغا مكان كذا وكذا ، فإنّ اللّه سيرزقكما ، قال : فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان الذى أمرهما به رسول اللّه ﷺ فانحل سقاؤهما فإذا لبن وزبد غنم ، فأكلا وشربا حتى شبعا (٢) .

● ومن هذه المعجزات حديث مزود « أبى هريرة » وذلك أن الناس أصابتهم مجاعة شديدة فى بعض أسفاره ، فقال النبى ﷺ لأبى هريرة : « هل من شئ » ؟ قال : قلت : نعم ، شئ من تمر فى المزود ، قال : « فآتنى به » ، فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ، ودعا بالبركة ، ثم قال : « ادع عشرة » فدعوتهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم لم يزل كذلك حتى أطعم الجيش كله ، وقال لى : « خذ ما جئتَ به » فأخذت ، فأكلت منه وأطعمت حياته ، وحياة أبى بكر ، وعمر ، إلى أن قتل عثمان فانتهب منى فذهب . وقد قيل : إنّ ذلك التمر إنما كان بضع عشرة تمرة .

● ومن ذلك ما رواه سلمان الفارسى قال : أتيتُ رسول اللّه ﷺ وهو فى جنازة رجل من أصحابه ، فلما رآنى مقبلاً قال لى : در خلفى ، وطرح رداءه فرأيتُ الخاتم وتبعته ، ثم درتُ إليه فجلست بين يديه فقال : « كاتِبْ » ،

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

(٢) رواه ابن سعد فى الطبقات .

فكاتبت على ثلاثمائة ودية عالقة وأربعين أوقية من ذهب ، فقال رسول الله ﷺ : « أعينوا أخاكم » ، فكان الرجل يأتى بالودية والثنتين والثلاث حتى جمعوا لى ثلاثمائة ، فقلت : كيف لى بعلوقها ؟ فقال لى : « انطلق ففقِّر لها بيدك » ، ففقرْتُ لها ، ثم أتيته فجاء معى فوضعها بيده ، فما أخفقت منها واحدة ، وبقى الذهب ، فبيّنا أنا عنده أُتى بمثل بيضة الحمامة من ذهب صدقة ، فقال : « أين العبد المكاتب الفارسى » ؟ فقمت فقال : خذ هذه فأدِّ منها ، فقلت : كيف تكفينى هذه ؟ فمسح رسول الله ﷺ لسانه عليها ، فوزنت منها أربعين أوقية ، وبقى عندى مثل ما أعطيتهم (١) .

* * *

● كلام الشجر ، وكثير من الجمادات وشهادتها له بالنبوة :

اختص الله تعالى نبيه ورسوله ﷺ بإنطاق الحجر والشجر له ، وبتحريك الشجر والسجود بين يديه ، مما كثرت حكاياته ، واتسعت رواياته ، لكثرة عدد ما روى فى ذلك ، وصحة ما اتفق هنالك ، فوردت به الأخبار ، ونقل عن الأئمة العدول الأخيار .

ومن ذلك : ما رواه جابر بن عبد الله قال : كان فى رسول الله ﷺ خصال : لم يكن فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عَرْفه أو ريح عَرقِه - الشك من إسحاق - ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له (٢) .

● ومن هذه المعجزات : ما رواه علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه قال : كنت مع النبى ﷺ بمكة ، فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله (٣) .

● ومنها : ما رواه جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بمكة حجراً كان يسلّم علىّ ليالى بعثتُ ، إنى لا أعرفه الآن » (٤) .

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة .
(٣) رواه الترمذى (٥ . ٣٧) وقال : حديث حسن غريب .
(٤) رواه الترمذى (٣ . ٣٧) وقال : حديث حسن غريب .

● ومنها ما رواه أبى أسيد الساعدى قال : قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب : « يا أبا الفضل ، لا ترم من منزلك غداً أنت وبنوك حتى آتيكم ، فإن لى فيكم حاجة ، فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى ، فدخل عليهم فقال : « السلام عليكم » ، قالوا : « وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » ، قال : « كيف أصبحتم » ؟ ، قالوا : أصبحنا بخير نحمد الله ، فكيف أصبحت بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ؟ قال : « أصبحت بخير أحمد الله » ، فقال : « تقاربوا تقاربوا تقاربوا ، يزحف بعضكم إلى بعض » ، حتى إذا أمكنوه ، اشتمل عليهم بملاءته وقال : « يارب ، هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى ، فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه » . قال : فأمّنت أسكفة الباب ، وحوائط البيت : آمين ، آمين ، آمين [1] .

● ومنها : ما رواه أبو زيد : أنّ رسول الله ﷺ كان بالحجون وهو مكتئب حزين ، فقال : « اللّهم أرنى اليوم آية لا أبالى مَنْ كذّبنى بعدها من قومى » ، فإذا شجرة من قِبَل عقبة المدينة ، فناداها فجاءت تشق الأرض حتى انتهت إليه وسلّمت عليه ، ثم أمرها فرجعت ، فقال : « ما أبالى مَنْ كذّبنى بعدها من قومى » [2] .

● ومنها : ما رواه بريدة : أنّ النبى ﷺ كان فى بعض غزواته ، فدنا منه أعرابى فقال له : « يا أعرابى ، أين تريد » ؟ فقال : أهلى . فقال له : « هل فى خير منهم » ؟ قال : ما هو ؟ قال : « تشهد أنْ لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله » . فقال : ومَن يشهد لى على صحة ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة - شجرة كانت بشاطئ الوادى - فادعها فإنها تجيبك » .

قال : فدعوتها ، فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها ، فتقطعت عروقها ، ثم جاءت تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : السلام عليك يا رسول الله . فقال الأعرابى :

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(٢) رواه ابن سعد فى الطبقات .

مرها فلترجع إلى هيئتها ، فأمرها فرجعت فدلّت عروقها حيث كانت واستوت ، فآمن الأعرابى وقال : ائذن لى أسجد لك . فقال عليه الصلاة والسلام : « لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرتُ المرأة أن تسجد لبعلها » ، قال : فائذن لى أن أُقبِّل يديك ورجليك ، فأذن له .

وقد روى عن النبى ﷺ أنه ظهرت على يديه مثل هذه المعجزة مرات ، وطرقها صحاح ، بل منها ما هو متواتر على ما حكاه أهل النقل ، فقد روى أنه طافت به شجرة ثم رجعت إلى منبتها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « إنها استأذنت أن تسلّم » .

● ومنها : ما رواه جابر : أنه صلى اللّه عليه وسلم خرج يوماً ليقضى حاجته ، فلم يجد بما يستتر ، وإذا بشجرتين بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول اللّه ﷺ فأخذ بغصن من أغصانها وقال لها : « انقادى علىّ بإذن اللّه » ، فانقادت معه كالبعير المذلل ، ثم فعل بالأخرى مثل ذلك وقال : « التئما علىّ » فالتئما ، فلما قضى حاجته . يقول جابر : فالتفتُ فإذا رسول اللّه ﷺ مقبل والشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساقها .

وكذلك روى مثل هذا الحديث عطاء قال : بلغنى أن النبى ﷺ كان مسافراً ، فذهب يريد أن يتبرز - أو يقضى حاجته - فلم يجد شيئاً يتوارى به من الناس ، فرأى شجرتين بعيدتين فقال لابن مسعود : « اذهب فقم بينهما فقل لهما : إنّ رسول اللّه أرسلنى إليكما أن تجتمعا حتى يقضى حاجته وراءكما » ، فذهب ابن مسعود فقال لهما ، فأقبلت إحداهما إلى الأخرى فقضى حاجته وراءهما .

كما روى أسامة بن زيد مثل هذا فى النخيل ، وقال فيه : قال لى : « انطلق إلى هذه النخلات وقل لهن : إنّ رسول اللّه ﷺ يأمركن أن تأتين لحاجة رسول اللّه ، وقل للحجارة مثل ذلك » . فقلت ذلك لهن ، فوالذى بعثه بالحق : لقد رأيتُ النخلات يتقاربن ويجتمعن ، والحجارة يتعاقدن ويتراكمن حتى صرن ركاماً خلفه ، فلما قضى حاجته قال لى : « قل لهن يفترقن » ، فوالذى نفسى بيده لقد رأيتُ النخلات والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن .

● ومنها : ما روته أم المؤمنين عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، تأتى الخلاء فلا يُرى منك شيئاً من الأذى ! فقال : « أوَ ما علمتِ يا عائشة أنَّ الأرض تبلع ما يخرج من الأنبياء فلا يُرى منه شئ » ؟ (١) .

● ومنها : ما رواه أبو بكر بن فورك : أن رسول الله ﷺ كان فى غزوة الطائف ليلاً ، وهو يسير ، فأخذته سِنَة ، فاعترضته سدرة ، فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما ، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا ، وهى هناك معروفة معظَّمة .

● ومنها : ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتى النبى ﷺ رجل من بنى عامر فقال : يا رسول الله ، أرنى الخاتم الذى بين كتفيك فإنى من أطب الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألا أريك آية ؟ قال : بلى ، قال : فنظر إلى نخلة فقال : « ادع ذلك العذق » ، قال : فدعاه ، فجاء ينقز حتى قام بين يديه ، فقال له رسول الله ﷺ : « ارجع » فرجع إلى مكانه ، فقال العامرى : يا آل بنى عامر ، ما رأيتُ كاليوم رجلاً أسحر (٢) .

وفى رواية للترمذى عن ابن عباس قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ قال : بِمَ أعرف أنك نبى ؟ قال : « إن دعوتُ هذا العذْقَ من هذه النخلة ، تشهد أنى رسول الله » ؟ فجعل ينزل من النخلة حتى سقطَ إلى النبى ﷺ ثم قال : « ارجع » ، فعاد ، فأسلم الأعرابى (٣) .

● ومنها : ما رواه أنس : أنَّ الرسول الله ﷺ أخذ كفاً من حصى ، فسبَّحت فى يده حتى سمعنا تسبيحها ، ثم صبها رسول الله ﷺ فى يد أبى بكر فسبَّحت كذلك ، ثم صبها فى أيدينا فلم تسبِّح .

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

(٢) رواه أحمد فى المسند (١٩٥٤) ، كما رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة من طريق الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن ابن عباس مطولاً ، وفى آخره : « فقال العامرى : والله لا أكذبك بقول أبداً ، ثم قال : يا بنى صعصعة ، والله لا أكذبه بشئ يقوله أبداً » .

(٣) رواه الترمذى (٧ . ٣٧) وقال : حديث حسن غريب صحيح .

● ومنها : ما رواه عبد الله بن مسعود قال : إنكم تعدون الآيات عذاباً ، وإنما كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ بركة ، لقد كنا نأكل الطعام مع النبى ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام ، قال : وأُتى النبى ﷺ بإناء فوضع يده فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « حى على الوضوء المبارك ، والبركة من السماء » حتى توضأنا كلنا (١) .

● ومنها : ما رواه أبو سلمة قال : كان رسول الله ﷺ لا يأكل من الصدقة ويأكل من الهدية ، فأهدت إليه يهودية شاة مصلية ، فأكل رسول الله ﷺ منها هو وأصحابه ، فقالت : إنى مسمومة . فقال لأصحابه : « ارفعوا أيديكم فإنها قد أخبرت أنها مسمومة » ، قال : فرفعوا أيديهم قال : فمات بشر بن البراء ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ فقال : « ما حملك على ما صنعت » ؟ قالت : أردتُ أن أعلم إن كنتَ نبياً لم يضرك ، وإن كنتَ مَلِكاً أرحتُ الناس منك ، قال : فأمر بها فقتلت (٢) .

● ومنها : ما رواه ابن عباس عن سهل الساعدى عن أبيه : أنَّ النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فرضتين ، قال : أراها من دوم ، وكانت فى مصلاه فكان يتكئ إليها ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، إنَّ الناس قد كثروا ، فلو اتخذتَ شيئاً تقوم إليه إذا خطبتَ يراك الناس ؟ قال : « ما شئتم » قال سهل : ولم يكن بالمدينة إلا نجار واحد ، فذهبتُ أنا وذلك النجار إلى الخافقين فقطعنا هذا المنبر من أثلة ، قال : فقام عليه النبى ﷺ فحنَّت الخشبة ، فقال النبى ﷺ : « ألا تعجبون لحنين هذه الخشبة » ؟ فأقبل الناس وفرقوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم ، فنزل النبى ﷺ حتى أتاها ، فوضع يده عليها فسكنت ، فأمر النبى ﷺ فدفنت تحت منبره ، أو جعلت فى السقف .

---

(١) رواه الترمذى (٣٧١٢) وقال : حسن صحيح .

(٢) رواه ابن سعد فى الطبقات .

وفى رواية لابن عباس : أنه صلى اللّه عليه وسلم أتى الجذع فاحتضنه ، فقال : « لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة » [1] .

وقد روى هذا الحديث بريدة وزاد فيه : « فقال النبى ﷺ للجذع : « إن شئتَ أردك إلى الحائط الذى كنتَ فيه فتنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد خوصك وثمرك ، وإن شئتَ أغرسك فى الجنة يأكل منك ومن ثمرك أولياء اللّه » ، ثم أصغى له النبى ﷺ يستمع له ما يقول ، فقال : بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء اللّه ، وأكون فى مكان لا أبلى فيه يسمعه مَن يليه ، فقال له : « قد فعلت » ، ثم قال رسول اللّه ﷺ : « اختار دار البقاء على دار الفناء » .

فكان الحسن رضى اللّه عنه إذا حدَّث بهذا الحديث بكى وقال : يا عباد اللّه ، الخشبة تحن إلى رسول اللّه ﷺ شوقاً إليه ، فأنتم أحق بذلك وأن تشتاقوا إلى لقائه .

*

● وحديث رسول اللّه ﷺ مع ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب - الذى أسلم بعد الفتح ، وتوفى فى أول خلافة معاوية سنة ٤٢ هـ - من أعجب الأحاديث لما اشتمل عليه من المعجزات الباهرة لرسول اللّه ﷺ .

فقد روى البيهقى عن أبى أمامة رضى اللّه عنه أنه قال : « كان رجل من بنى هاشم يقال له « ركانة » وكان من أفتك الناس وأشده ، وكان مشركاً ، وكان يرعى غنمه فى واد يقال له « اضم » .

فخرج نبى اللّه ﷺ من بيت عائشة ذات يوم ، فتوجه قِبَل ذلك الوادى ، فلقيه ركانة وليس مع النبى ﷺ أحد ، فقام إليه ركانة وقال : يا محمد ، أنت الذى تشتم آلهتنا : اللات والعُزَّى ، وتدعو إلى إلهك العزيز الحكيم ؟ ولولا رحم بينى وبينك ، ما كلمتك هذا الكلام حتى أقتلك ، ولكن ادع إلهك العزيز الحكيم

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

ينجيك منى اليوم ، وسأعرض عليك أمراً ، هل لك أن أصارعك وتدعو إلهك العزيز الحكيم يعينك علىّ ، وأنا أدعو اللات والعُزّى ، فإن أنت صرعتنى فلك عشر من غنمى هذه تختارها .

فقال عند ذلك نبى اللّه ﷺ : « نعم ، إن شئت » فاتحدا ، ودعا النبى ﷺ إلهه العزيز الحكيم أن يعينه على ركانة ، ودعا ركانة اللات والعُزّى : أعنّى اليوم على محمد .

فأخذه النبى ﷺ ، فصرعه وجلس على صدره ، فقال ركانة : قم ، فلستَ أنت الذى فعلت بى هذا ، إنما فعله إلهك العزيز الحكيم وخُذِلت اللات والعُزّى ، وما وضع أحد جنبى قبلك .

فقال له ركانة : عد ، فإن أنت صرعتنى ، فلك عشرة أخرى تختارها ، فأخذه نبى اللّه ﷺ ودعا كل واحد منهم إلهه كما فعلا أول مرة ، فصرعه نبى اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فجلس على كبده ، فقال له ركانة : قم ، فلستَ أنت الذى فعل بى هذا ، إنما فعله إلهك العزيز الحكيم ، وخُذِلت اللات والعُزّى ، وما وضع أحد جنبى قبلك .

فقال له ركانة : عد ، فإن أنت صرعتنى ، فلك عشرة أخرى تختارها ، فأخذه نبى اللّه ﷺ الثالثة ، ودعا كل واحد منهما إلهه ، فصرعه نبى اللّه ﷺ الثالثة، فقال له ركانة : لستَ أنت الذى فعلتَ بى هذا ، وإنما فعله العزيز الحكيم ، وخُذلت اللات والعُزّى ، فدونك ثلاثين شاة من غنمى فاخترها .

فقال له النبى ﷺ : « ما أريد ذلك ، ولكن أدعوك إلى الإسلام يا ركانة ، وأتعس بك أن تصير إلى النار ، إنك إن تُسْلِم تَسْلَم » .

فقال له ركانة : لا ، إلا أن ترينى آية ، فقال له نبى اللّه ﷺ : « اللّه شهيد إن أنا دعوت ربى فأريتك آية لتجيبنى إلى ما أدعوك إليه » ؟ قال : نعم .

وقريباً منهم شجرة سمر ، ذات فروع وقضبان ، فأشار إليها نبى اللّه ﷺ وقال لها : « أقبلى بإذن اللّه » ، فانشقت باثنين ، فأقبلت على نصف ساقها

وقضبانها وفروعها ، حتى كانت بين يدى رسول الله ﷺ وبين ركانة ، فقال له ركانة : أريتنى عظيماً ، فمرها فلترجع .

فقال له نبى الله ﷺ : « عليك الله شهيد إن أنا دعوتُ ربى عَزَّ وجَلَّ أمرتها فرجعت ، أتجيبنى إلى ما أدعوك إليه » ؟ قال : نعم . فأمرها فرجعت بقضبانها وفروعها حتى التأمت بشقها .

فقال له النبى ﷺ : « أسلم تسلم » . فقال له ركانة : ما بى إلا أن أكون رأيتُ عظيماً ، ولكنى أكره أن تتحدث نساء المدينة وصبيانهم أنى إنما أجبتك لرعب دخل قلبى منك ، ولكن قد علمت نساء أهل المدينة وصبيانهم : أنه لم يضع جنبى أحد قط ، ولم يدخل قلبى رعب ساعة ليلاً ولا نهاراً ، ولكن دونك فاختر غنمك .

فقال النبى ﷺ : « ليس بى حاجة إلى غنمك إذ أبيتَ أن تسلم » .

فانطلق نبى الله ﷺ راجعاً ، وأقبل أبو بكر وعمر يلتمسانه فى بيت عائشة ، فأخبرتهما أنه توجه قِبَل وادى إضم ، وقد عرفا أنه وادى ركانة لا يكاد يخطئه ، فخرجا فى طلبه ، وأشفقا أن يلقاه ركانة فيقتله ، فجعلا يصعدان على كل شرف ويتشرفان مخرجاً له ، إذ نظرا إلى نبى الله ﷺ مقبلاً ، فقالا : يا نبى الله ، كيف تخرج إلى هذا الوادى وحدك ، وقد عرفتَ أنه جهة ركانة ، وأنه من أفتك الناس وأشده تكذيباً لك ؟ فضحك إليهما النبى ﷺ ثم قال : « أليس يقول الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [1] إنه لم يكن ليصل إلىّ والله معى » ، فأنشأ يحدثهما حديثه والذى فعل به والذى أراه ، فعجبا من ذلك فقالا : يا رسول الله ، أصرعتَ ركانة ؟ فلا والذى بعثك ما نعلم أنه وضع جنبه إنسان قط !

---

(١) المائدة : ٦٧

فقال النبى ﷺ : « إنى دعوتُ ربى ، فأعاننى عليه ، وإن ربى عَزَّ وجَلَّ أعاننى ببضع عشرة ، وبقوة عشرة » [1] .

* * *

● كلام ضروب من الحيوان وتسخيرهم له :

ومن المعجزات التى اختُصَّ بها النبى ﷺ كلام الحيوانات وتسخيرهم له .

● فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه ، إذ جاءه أعرابى من بنى سليم قد صاد ضباً وجعله فى كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله ، فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ قالوا : هذا الذى يذكر أنه نبى ، فجاء حتى شق الناس فقال : واللات والعُزَّى ، ما شملت النساء على ذى لهجة أبغض إلىّ منك ، ولا أمقت ، ولولا أن يسمينى قومى عجولاً لعجلت عليك فقتلتك ، فسررتُ بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم .

فقال عمر بن الخطاب : دعنى يا رسول الله فأقوم فأقتله .

قال : « يا عمر ، أما علمتَ أن الحليم كاد أن يكون نبياً » . ثم أقبل على الأعرابى فقال : « ما حملك على ما قلتَ وقلتَ غير الحق ولم تكرمنى فى مجلسى » ؟ قال : وتكلمنى أيضاً - استخفافاً برسول الله ﷺ - واللات والعُزَّى لا آمنتُ بك أو يؤمن بك هذا الضب . وأخرج الضب من كمه ، وطرحه بين يدى رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : « يا ضب » ، فأجابه الضب بلسان عربى مبين سمعه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يا زين مَن وافى القيامة .

قال : « مَن تعبد يا ضب » ؟

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة وفى سنده أبو عبد الملك ، قال البيهقى : أبو عبد الملك هذا علىّ بن زيد الشامى وليس بالقوى ، إلا أن معه ما يؤكد حديثه ، والله أعلم .

قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : « فمَن أنا يا ضب » ؟

قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وقد أفلح مَن صدَّقك ، وخاب مَن كذَّبك .

قال الأعرابى : لا أتبع أثراً بعد عين ، واللّه لقد جئتك وما على ظهر الأرض أحد أبغض إلىّ منك ، وإنك اليوم أحب إلىّ من والدىّ ، ومن عينىّ ، ومنى ، وإنى لأحبك بداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى ، وأشهد أنْ لا إلٰه إلّا اللّه ، وأشهد أنك رسول اللّه .

فقال رسول اللّه ﷺ : « الحمد للّه الذى هداك بى ، إنّ هذا الدين يعلو ولا يُعلى عليه ، ولا يُقبل إلا بصلاة ، ولا تُقبل الصلاة إلا بقرآن » .

قال : فعلّمنى . فعلّمه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، قال : زدنى ، فما سمعت فى البسيط ولا فى الرجز أحسن من هذا .

قال : « يا أعرابى ، إنّ هذا كلام اللّه ليس بشعر ، إنك إن قرأت : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مرة ، كان لك كأجر مَن قرأ ثلث القرآن ، وإن قرأتَ مرتين كان لك كأجر مَن قرأ ثلثى القرآن ، وإن قرأتَ ثلاث مرات كان لك كأجر مَن قرأ القرآن كله » .

قال الأعرابى : نِعْمَ الإلٰه إلٰهاً يقبل اليسير ويعطى الجزيل .

فقال له رسول اللّه ﷺ : « ألك مال » ؟

قال : فقال : ما فى بنى سليم قاطبة رجل هو أفقر منى .

فقال رسول اللّه ﷺ لأصحابه : « أعطوه » ، فأعطوه حتى أبطروه ، فقام عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول اللّه ، إنّ له عندى ناقة عُشَرَاء ، دون

البختى وفوق الأعرابى ، تلحق ولا تُلحق ، أُهديَت إليَّ يوم تبوك ، أتقرب بها إلى اللّه عَزَّ وجَلَّ ، وأدفعها إلى الأعرابى .

فقال رسول اللّه ﷺ : « قد وصفتَ ناقتك ، فأصفُ ما لك عند اللّه عَزَّ وجَلَّ يوم القيامة » ؟

قال : نعم . قال : « لك ناقة من درة جوفاء ، قوائمها من زبرجد أخضر ، وعنقها من زبرجد أصفر ، عليها هودج ، وعلى الهودج السندس والاستبرق ، وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف ، يغبطك بها كل مَن رآك يوم القيامة » .

فقال عبد الرحمن : قد رضيتُ .

فخرج الأعرابى فلقيه ألف أعرابى من بنى سليم على ألف دابة ، معهم ألف سيف وألف رمح ، فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا له : نريد هذا الذى سفَّه آلهتنا فنقتله . قال : لا تفعلوا ، وأنا أشهد أنْ لا إلٰه إلَّا اللّه ، وأنَّ محمداً رسول اللّه ، فحدَّثهم بالحديث فقالوا بأجمعهم : لا إلٰه إلَّا اللّه محمد رسول اللّه .

ثم دخلوا ، فقيل للنبى ﷺ ، فتلقاهم بلا رداء ، فنزلوا عن ركابهم يقبلون حيث وافوا منه وهم يقولون : لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه . ثم قالوا : يا رسول اللّه ، مرنا بأمرك . قال : « كونوا تحت راية خالد بن الوليد » فلم يؤمن من العرب ولا غيرهم ألف غيرهم [1] .

● ومنها : ما رواه أبو سعيد الخدرى قال : بيَّنا أعرابى فى بعض نواحى المدينة فى غنم له ، إذ عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة من غنمه ، فأدركه الأعرابى فأخذها منه ، وانطلق الذئب يمشى ، ثم رجع الذئب مستنفراً بذنبه مستقبل الأعرابى ، ثم قال : ويحك ، ألا تحرِّج ؟ تنتزع رزقاً رزقنيه اللّه ؟

فطفق الأعرابى بين يديه فقال : العجب من ذئب يتكلم !

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة باب « ما جاء فى شهادة الضب » ، والطبرانى فى الأوسط والصغير ، وابن عدى والحاكم فى المعجزات ، وأبو نعيم ، وابن عساكر .

فقال الذئب : واللّه إنك لتدع ما هو أعجب من هذا !

قال : وما هو أعجب من هذا ؟ قال : نبى اللّه فى النخلات يحدّث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك .

فساق الأعرابى غنمه حتى ألجئ إلى بعض المدينة ، وسعى إلى النبى ﷺ حتى ضرب عليه بابه ، فأذن له ، فحدّثه الأعرابى فصدّقه ، ثم قال : « إذا صليتُ بالناس الصلاة فاحضرنى » . فلما صلى رسول اللّه ﷺ قال : « مَن صاحب الغنم » ؟ فقام الأعرابى فقال له النبى ﷺ : « حدّث بما رأيتَ وما سمعتَ » ، فحدّث الأعرابى بما سمع وبما رأى ، ثم قال : « والذى نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده » (١) .

وقد رُوِى هذا الحديث عن غير واحد من الصحابة منهم أبو هريرة ، وزاد فى هذا الحديث : « فقال له الذئب : أنت أعجب ، وقفتَ على غنمك وتركتَ نبياً لم يبعث اللّه قط نبياً أعظم منه قدراً عنده ، قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينتظرون إقبالهم ، وما بينك وبينه إلا هذا الشِعْب فتصير فى جنود اللّه .

فقال الراعى : لو كان لى مَن يرعى الغنم لمشيتُ إليه .

فقال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع . فأسلم الراعى إليه غنمه ومضى . وذكر قصته وإسلامه . وفيه أن النبى ﷺ قال له : « عد إلى غنمك تجدها بوفرها » فوجدها كذلك ، وذبح للذئب منها شاة .

وكان اسم هذا الراعى « أهبان بن أوس » ، وكان يقال لأولاده : « بنو مكلّم الذئب » - ذكره ابن أبى داود .

وقد ذكر مثل هذه القصة عن « سلمة بن الأكوع » وأنها كانت سبب إسلامه .

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة واللفظ له ، ورواه أحمد فى المسند وإسناده صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم ، ووافقه الذهبى ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد : ورجال أحد إسنادى أحمد رجال الصحيح .

● ومن ذلك ما يحكى أنَّ « أبا سفيان بن حرب » بينَّا هو فى ملأ من قريش بمكة ، إذ بظبى يطرده ذئب ، فدخل الظبى الحرم فرجع الذئب ، فعجبوا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك : محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار ! فقال أبو سفيان : واللات والعُزَّى ، لئن ذكرتم هذا بمكة ليتركنها خلوفاً .

● ومنها : ما رواه زيد بن أرقم قال : كنت مع النبى ﷺ فى بعض سكك المدينة ، فمررنا بخباء أعرابى ، فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء ، فقالت : يا رسول الله ، إنَّ هذا الأعرابى اصطادنى ولى خشفان فى البرية ، وقد تعقد اللبن فى أخلافى ، فلا هو يذبحنى فأستريح ، ولا هو يدعنى فأرجع إلى خشفى فى البرية .

فقال لها رسول الله ﷺ : « إن تركتكِ ، ترجعين » ؟

قالت : نعم ، وإلا عذَّبنى الله عذاب العشار .

فأطلقها رسول الله ﷺ ، فلم تلبث أن جاءت تلمظ ، فشدَّها رسول الله ﷺ إلى الخباء ، وأقبل الأعرابى ومعه قربة ، فقال له رسول الله ﷺ : « أتبيعنيها » ؟ قال : هى لك يا رسول الله ، فأطلقها رسول الله ﷺ .

قال زيد بن أرقم : فأنا والله رأيتها تسيح فى البرية وهى تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله [1] .

● ومن ذلك : ما روى من كلام الحمار الذى أصابه بخيبر ، وقال : اسمى يزيد بن شهاب ، فسماه النبى ﷺ « يعفور » ، وكان يوجهه إلى دور أصحابه ، فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم ، وأنه لما مات النبى ﷺ تردى فى بئر جزعاً وحزناً ، فمات .

● ومن ذلك : ما روى جابر بن عبد الله قال : جاء رجل فآمن بالنبى ﷺ وهو

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

على بعض حصون خيبر ، وكان فى غنم يرعاها لهم - يعنى لأهل خيبر - فقال لرسول الله ﷺ : كيف بالغنم ؟ فقال : « احصب وجوهها - يعنى اضربها بالرمل - فإن الله سيؤدى أمانتك ، ويردها إلى أهلها » ، ففعل ، فسارت كل شاة منها حتى أتت أهلها .

● ومن هذه المعجزات : حديث أنس ، أنَّ النبى ﷺ دخل حائط رجل من الأنصار ، ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار ، وفى الحائط غنم ، فسجدت له فقال أبو بكر : نحن أحق بالسجود لك منها ... وذكر الحديث .

● ومنها : ما رواه ابن وهب : أن حمام مكة أظلّت النبى ﷺ يوم فتحها ، فدعا لها بالبركة .

● ومنها : ما رواه ابن عباس قال : كان النبى ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد ، قال : فذهب فقعد تحت شجرة ، فنزع خُفَّيْه ولبس أحدهما ، فجاء طير ، فأخذ خفه الآخر ، فحلّق به فى السماء ، فأسلت منه أسود سالخ (ثعبان) . فقال النبى ﷺ : « هذه كرامة أكرمنى الله بها ، اللّهم إنى أعوذ بك من شر مَن يمشى على رجليه ، ومَن شر مَن يمشى على أربع ، ومن شر مَن يمشى على بطنه » [1] .

● ومنها : ما رواه أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة : أنَّ النبى ﷺ حين أوى وصاحبه إلى الغار ، أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبى ﷺ فسترته ، وأمر حمامتين فوقفتا فى فم الغار ، وأن العنكبوت نسجت على بابه ، فلما أتى الطالبون له رأوا ذلك فقالوا : لو كان فيه أحد لم تكن الحمامات ولا العنكبوت ، فانصرفوا والنبى ﷺ يسمع كلامهم - وقد تقدم فى حديث الهجرة .

● ومنها : ما روته عائشة رضى الله عنها قالت : كان لأهل رسول الله ﷺ وحش - وفى رواية داجن - فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب وذهب وجاء ، فإذا جاء رسول الله ﷺ ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله ﷺ فى البيت [2] .

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة ، والأسود السالخ : ذكر الحية .

(٢) رواه البيهقى فى دلائل النبوة ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ونسبه لأحمد ، وأبى يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط وقال : ورجال أحمد رجال الصحيح .

● ومنها : ما رواه عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبى ﷺ فى سفر ، فدخل رجل غيضة ، فأخرج منها بيضة حُمَّرة ، فجاءت الحُمَّرة ترف على رأس رسول الله ﷺ فقال : « أيكم فجع هذه » ؟ فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتها . فقال : « رُدُّه ، رُدُّه » .. رحمة بها [1] .

● ومنها : ما رواه حماد بن سلمة قال : سمعت شيخاً من قيس يحدث عن أبيه قال : جاءنا النبى ﷺ ، وعندنا بكرة صعبة لا يُقدر عليها ، قال : فدنا منها رسول الله ﷺ فمسح ضرعها فحفل ، فاحتلب فشرب .

● ومنها : ما رواه جابر بن عبد الله : أن ناضحاً لبعض بنى سلمة اغتلم ، فصال عليهم ، وامتنع عليهم حتى عطبت نخله ، فانطلق إلى النبى ﷺ فاشتكى ذلك إليه ، فقال النبى ﷺ : « انطلق » .

وذهب النبى ﷺ معه ، فلما بلغ باب النخل قال : يا رسول الله ، لا تدخل فإنى أخاف عليك ، فقال النبى ﷺ : « ادخلوا فلا بأس عليكم » . فلما رآه الجمل أقبل يمشى واضعاً رأسه حتى قام بين يديه فسجد . فقال النبى ﷺ : « ائتوا جملكم فاخطموه وارتحلوه » ، فخطموه وارتحلوه ، وقالوا : سجد لك يا رسول الله حين رآك ، فقال : « لا تقولوا ذلك لى ، لا تقولوا ما لم أبلغ ، فلعمرى ما سجد لى ، ولكن سجد لله عَزَّ وجَلَّ ولكن الله تعالى سخَّره لى » [2] .

● ومنها : ما رواه الحسن قال : بينَّا رسول الله ﷺ فى مسجده ، إذ أقبل جمل نادٌ حتى وضع رأسه فى حجر النبى ﷺ وجرجر ، فقال النبى ﷺ : « إنَّ هذا الجمل يزعم أنه لرجل ، وأنه يريد أن ينحره فى طعام عن أبيه الآن ، فجاء يستغيث » .

فقال رجل : يا رسول الله ، هذا جمل فلان وقد أراد به ذلك ، فدعا النبى ﷺ

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(٢) رواه البيهقى فى دلائل النبوة ، ورواه أحمد بنحوه فى المسند وله شواهد يصح بها ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير .

الرجل فسأله عن ذلك ، فأخبره أنه أراد ذلك به ، فطلب إليه النبى ﷺ ألا ينحره ، ففعل [١] .

● ومنها : ما رواه عبد الله بن جعفر قال : أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسرّ إلىّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً ، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به فى حاجته هدف [٢] ، أو حائش نخل [٣] ، فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار ، فإذا جمل قد أتاه ، فجرجر وذرفت عيناه ، فلما رأى النبى ﷺ حنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله ﷺ سراته [٤] وذفراه [٥] فسكن ، فقال : « مَن صاحب الجمل » ؟ ، فجاء فتىً من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله ، فقال : أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملككها الله ، إنه شكا لى أنك تجيعه وتدئبه [٦] .

والأخبار فى هذا كثيرة شهيرة ، وفيما ذكرناه كفاية ، لمن كان ذا عقل وديانة .

* * *

● إحياء الموتى وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة :

من ذلك : الخبر المشهور المعلوم عن غير واحد من الصحابة : أن يهودية بخيبر أهدت لرسول الله ﷺ شاة مشوية ، فسمّتها . فأكل منها رسول الله ﷺ وأكل القوم معه ، فقال : « ارفعوا ، فإنّ هذه الشاة أخبرتنى أنها مسمومة » ، ثم قال لليهودية : « ما حملك على ما صنعت » ؟ قالت : إن كنتَ نبياً صادقاً لم يضرك الذى صنعت ، وإن كنت مَلِكاً أرحتُ منك . فقال : « ما كان الله ليسلطك

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

(٢) الهدف : كل ما كان له شخص مرتفع من بناء وغيره .

(٣) حائش نخل : جماعة النخل الصغار ، لا واحد له من لفظه ، وقيل : النخل الملتف المجتمع .

(٤) سراة كل شئ : ظهره وأعلاه .

(٥) ذِفراه : مؤخر رأسه ، وهو الموضع الذى يعرق من قفاه .

(٦) تدئبه : أى تكده وتتعبه ، والحديث رواه أحمد فى المسند (١٧٤٥) .

على ذلك » فقالوا : نقتلها ؟ قال : « لا » ، فلم يزل أثر تلك الأكلة فى لهوات رسول الله ﷺ حتى قال فى وجعه الذى مات فيه : « ما زالت أكلة خيبر تعاودنى ، فالآن قطعت أبهرى » .

قال ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

وروى هذا الحديث من طريق البزار عن أبى سعيد الخدرى وزاد فيه : « فبسط رسول الله ﷺ يده وقال : « كلوا باسم الله » فأكلنا ، وذكرنا اسم الله ، فلم تضر أحد منا ، إلا ما ذكر من موت بشر بن البراء .

وفى هذا الحديث أنواع من دلالات نبوته صلى الله عليه وسلم : نطق الميت ، وذلك أن الشاة كلمته بعد أن شويت ، وأنهم أكلوا السم ولم يضرهم ، وفى موت البراء دليل على أنَّ الذى أكلوه سم قاتل ، وبذلك اعترفت اليهودية وقالت : أردتُ قتلك ، فأراد الله تعالى أن يميت أحدهم ليعلم أن الذى أكلوه سم ، وأن يحيى جميعهم آية لرسول الله ﷺ .

ومن آياته فى هذه القصة : تأخر موته بالسم دون علّة لزمته منه نحو عشرين سنة ، وهذه كلها أمور خارقة للعادات ، فهى من أوضح الدلالات [1] .

● ومن هذه المعجزات : ما رواه الحسن قال : أتى رجل النبى ﷺ فذكر أنه طرح بنية له فى وداى كذا ، فانطلق معه إلى ذلك الوادى وناداها باسمها : « يا فلانة ، اجيبى بإذن الله » فخرجت وهى تقول : لبيك وسعديك ، فقال لها : « إن أبويك قد أسلما ، فإن أحببتِ أن أردك عليهما » فقالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدتُ الله خيراً منهما .

● ومنها : ما رواه عبد الله بن عبيد الله قال : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس - وكان قُتِل باليمامة ، فسمعناه حين أدخلناه فى القبر يقول : محمد

---

(١) انظر : الإعلام ، للإمام القرطبى ص ٣٦٣

رسول الله ، أبو بكر الصدِّيق ، عمر الشهيد ، عثمان البر الرحيم ، فنظرنا فإذا هو ميت [1] .

● ومنها : ما رواه سعيد بن المسيب : أن زيد بن خارجه الأنصارى ، توفى زمن عثمان بن عفان ، فسجى فى ثوبه ، ثم إنهم سمعوا جلجلة فى صدره ، ثم تكلم ، ثم قال : « أحمد أحمد فى الكتاب الأول ، صدق صدق .. أبو بكر الصدِّيق ، الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله ، فى الكتاب الأول ، صدق صدق .. عمر بن الخطاب ، القوى الأمين فى الكتاب الأول ، ألا قد صدق ، صدق صدق ، عثمان بن عفان على مناهجهم .

مضت أربع وبقيت ثنتان ، أتت الفتن ، وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة ، وسيأتيكم من جيشكم خبر بئر أريس ، وما بئر أريس » .

قال يحيى بن سعيد : قال سعيد - يعنى ابن المسيب - : ثم هلك رجل من بنى خطمة ، فسجى بثوب ، فسمع جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال : إن أخا بنى الحارث بن الخزرج - يعنى زيد بن خارجة - صدق صدق [2] .

● ومنها : ما رواه معرض بن عبد الله ، عن أبيه عن جده قال : حججت حجة الوداع ، فدخلت داراً بمكة ، فرأيتُ فيها رسول الله ﷺ ووجهه كدارة القمر ، فسمعت منه عجباً ، أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه فى خرقة ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا غلام ، مَن أنا » ؟ فقال : أنت رسول الله ، قال : « صدقتَ ، بارك الله فيك » . ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شبّ . قال أبى : فكنا نسميه مبارك اليمامة [3] .

* * *

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٤ (٢) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(٣) رواه البيهقى فى دلائل النبوة ، ومعرض : هو معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقيب اليمامى .

● إبراؤه - صلى الله عليه وسلم - المرضى وذوى العاهات :

يقول الإمام القرطبى : « معجزات النبى ﷺ فى هذا الباب كثيرة ، وإذا تأملتها وتأملت ما قبلها من إحياء الموتى وشهادة الصبيان والمراضع له بالنبوة ، تعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم أوتى من المعجزات مثلف ما أوتى عيسى ابن مريم عليه السلام من إحياء الموتى ، وإبراء العمى والمجانين وذوى الأسقام والآفات - كما تحكى النصارى فى إنجيلها - وزاد عليه بأمور كثيرة ..

فيلزم النصارى إذ كذّبوا بنبوة محمد ﷺ - مع ما أقمنا عليه من الآيات ، وأثبتنا من واضح المعجزات - أن يكذّبوا بنبوة عيسى عليه السلام ، فإن معجزاته كمعجزاته ، وإن كذّبونا فيما نقلنا عارضناهم فيما نقلوه ، ولم يقدروا أن يثبتوا نبوة عيسى عليه السلام علينا ، ولا على غيرنا » (١) .

● من ذلك : ما اشتهر واستفاض من قصة عين قتادة بن عمر يوم « أحد » وذلك أنه أصيب فى إحدى عينيه ، حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت أحسن عينيه .

● ومن هذه المعجزات : ما رواه عثمان بن حنيف : أن أعمى قال : يا رسول الله ، ادع الله أن يكشف لى عن بصرى فقال له : « انطلق ، فتوضأ ثم قل : اللّهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، نبى الرحمة ، يا محمد ، إنى أتوجه بك إلى ربى أن يكشف عن بصرى ، اللّهم شفعه فىّ » فرجع الرجل وقد كشف الله عن بصره .

● ومنها : ما رواه حبيب بن فديك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئاً ، فنفث رسول الله ﷺ فى عينيه فأبصر ، قال : فرأيته يُدخل الخيط فى الإبرة ، وهو ابن ثمانين .

● ومنها : ما روى أن « ملاعب الأسنة » أصابه استسقاء ، فبعث إلى رسول الله ﷺ فأخذ بيده حثوة من تراب ، فتفل عليها ، ثم أعطاها رسوله ،

---

(١) الإعلام للإمام القرطبى ص ٣٦٦

فأخذها رسوله متعجباً ، يرى أنه قد هزأ به ، فأتاه بها وهو على شقاء ، فشربها ، فشفاه الله تعالى .

● ومنها : ما رواه كلثوم بن الحصين ، وذلك أنه أصيب يوم « أحد » فى نحره ، فبصق فيه رسول الله ﷺ ، فبرأ ، وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد .

● ومنها : حديث علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، يوم خيبر ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال وهو على خيبر : « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » ، فبات أصحابه تلك الليلة كلهم يرجو أن يُعطاها ، فلما أصبح دعا علياً ، فإذا به رمد ، فتفل فى عينيه ، فبرئ لحينه ، وفتح الله على يديه الحصن .

● وفى تلك الغزاة ، نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع فبرأت .

● وكذلك فعل بساق علىّ بن الحكم يوم الخندق ، وكانت قد انكسرت ، فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه .

● وأصاب علياً وجع ، فقال النبى ﷺ : « اللّهم اشفه - أو عافه » ثم ضربه برجله ، فما اشتكى ذلك الوجع بعد .

● وقطع أبو جهل - لعنه الله - يوم بدر يد معوذ بن عفراء ، فجاء يحمل يده ، فبصق عليها رسول الله ﷺ ، وألصقها فلصقت .

● وكذلك أصيب فى ذلك اليوم حبيب بن يساف ، فنفث عليها من ريقه فصح .

● وانكفأت القِدْر وهى تغلى على ذراع محمد بن حاطب ، وهو طفل صغير ، فمسح رسول الله ﷺ عليه ، ودعا له وتفل ، فبرأ لحينه .

● وكانت فى كف شرحبيل الجحفى سلعة ، تمنعه القبض على السيف ، وعنان الدابة ، فشكاها للنبى ﷺ ، فما زال يمسحها بكفه حتى رفع كفه وما لها من أثر (١) .

● ومنها : ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن به لماً ، وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا ، قال : فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له ، فتعٌ تعٌة (٢) فخرج من فيه مثل الجرو الأسود فشفى (٣) .

● ومن هذه المعجزات : أن امرأة من خثعم ، أتت النبى ﷺ يوماً ومعها صبى به بلاء ، لا يعقل ولا يتكلم ، فأُتى بماء فمضمض فاه ، وغسل يديه - صلى الله عليه وسلم - عليه ، ثم أعطاها ذلك الماء ، وأمرها أن تسقيه إياه ، ففعلت ، فبرئ الغلام وعقل عقلاً يفضل كثير من الناس .

* * *

● جُمَل من بركاته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم :

الأخبار فى هذا الباب كثيرة جداً تفوق الحصر .

● من ذلك ما اشتهر وصحّ أنه وقع فزع بالمدينة ، فركب صلى الله عليه وسلم فرساً لأبى طلحة بطيئاً ، فلما رجع قال لأبى طلحة : « وجدنا فرسك بحراً - يريد كثير الجرى كالبحر - قال : فكان ذلك الفرس لا يُجارَى » .

● ونخس جمل جابر ، وكان قد أعيا ، فنشط ، حتى كان ما يملك زمامه - وسيأتى تفصيله .

● وصنع مثل ذلك بفرس لجميل الأشجعى ، خفقها بمخفقة معه ، وبرك عليها فلم تملك رأسها نشاطاً ، وباع من بطنها باثنى عشر ألفاً .

---

(١) انظر الإعلام ، المرجع السابق ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦

(٢) تعٌ : أى قاء .

(٣) رواه أحمد فى المسند (٢١٣٣) .

● وكانت شعرات من شعر رسول الله ﷺ فى قلنسوة خالد بن الوليد ، فلم يشهد بها قتالاً ، إلا رُزِق النصر .

● وكانت جبة رسول الله ﷺ تُغسل للمرضى بعد موته ، فيُستشفَى بها .

● وأخذ « جهجاه » قضيب رسول الله ﷺ ليكسره ، فأخذته فى يده أكلة ، فقطعها ومات قبل الحَوْل .

● وسكب من فضل وضوئه فى بئر قباء ، فما جفَّ ماؤها بعد .

● وبزق فى بئر كانت فى دار أنس ، فلم يكن بالمدينة أعذب منها .

● ومرّ على ماء ، فسأل عنه فقيل : اسمه « بيسان » وماؤه ملح ، فقال : « بل هو نعمان ، ومائه طيب » ، فطاب .

● وأُوتى بدلو من ماء زمزم فمجَّ فيه ، فصارت أطيب من المسك .

● وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصّاه ، وكانا يبكيان عطشاً ، فرويا وسكتا .

● وكانت لأم مالك عكة تهدى فيها للنبى ﷺ سمناً ، فأمرها النبى ﷺ أن تعصرها ، ثم دفعها إليها . فإذا هى مملوءة سمناً ، فيأتيها بنوها ويسألونها الأدم ، وليس عندهم شئ ، فتعمد إليها فتجد فيها سمناً ، فكانت تقسم أدمها حتى عصرتها .

● وكان صلى الله عليه وسلم يتفل فى أفواه المراضع فيجزيهم ريقه إلى الليل .

● ومن ذلك بركة يده فيما لمس أو غرس .. فقد غرس لسلمان ثلثمائة ودية ، وكان كاتبَ مواليه على ثلاثمائة نخلة وعلى أربعين أوقية ، فغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلا واحدة ، فأطعمت فى عامها إلاّ تلك الواحدة ، فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها فأطعمت من عامها .

وأعطاه صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه ، فوزن منها أربعين أوقية لمواليه ، وبقى مثلها .

● ومن ذلك ما رواه حنش بن عقيل قال : سقانى رسول الله ﷺ شربة من سويق شربَ أولها ، وشربتُ آخرها ، فما زلتُ أجد شبعها إذا جعت ، وريها إذا عطشت ، وبردها إذا ظمئت .

● وأعطى قتادة بن النعمان ، - وكان قد صلى معه العشاء الأخيرة فى ليلة مطيرة - عرجوناً فقال : « انطلق فإنه سيضئ لك من بين يديك عشراً ، ومن خلفك عشراً فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان » ، فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ، ووجد السواد فضربه حتى خرج .

● ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال له : « اضرب به » حين انكسر سيفه يوم بدر ، فعاد فى يده سيفاً صارماً ، طويل القامة ، أبيض شديد المتن ، فقاتل به ، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف ، إلى أن استشهد فى قتال أهل الرِدَّة ، وكان هذا السيف يسمى « العون » .

● وكذلك دفع لعبد الله بن جحش يوم أحد - وقد ذهب سيفه - عسيب نخل فعاد فى يده سيفاً .

● ومن ذلك بركته - صلى الله عليه وسلم - فى درور الشياه الحوائل : اللبن الكثير - كقصة شاة أم معبد ، وغنم حليمة مرضعته ، وكذلك قصة شاة عبد الله ابن مسعود وكان لم ينز عليها فحل قط ، وكذلك شاة المقداد .

● ومن ذلك تزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه ، فلما حلاه إذا به لبن طيب وزبده فى فمه .

● ومسح على رأس عمير بن سعد وبارك ، فمات وهو ابن ثمانين فما شاب .

● ومن ذلك أن عتبة بن فرقد كان يوجد له طيب يغلب طيب نسائه ، لأن رسول الله ﷺ مسح بيده بطنه ويده .

● وسلت عايذ بن عمرو عن وجهه - صلى الله عليه وسلم - الدم يوم « أُحد » ، فدعا له فكانت له غُرة كغُرة الفرس .

● ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس قيس بن زيد الجذامى ، ودعا له ، فمات ابن مائة سنة ورأسه أبيض ، وموضع كف النبى ﷺ أسود ، فكان يدعى الأغر .

● ومسح وجه رجل آخر فما زال على وجهه نور .

● ومسح وجه قتادة بن ملحان ، فكان لوجهه بريق ، حتى كان ينظر فى وجهه كما ينظر فى المرآة .

● ووضع صلى الله عليه وسلم يده على رأس حنظلة بن خديم وبارك عليه ، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه ، والشاة قد ورم ضرعها ، فيوضع على موضع كف النبى ﷺ فيذهب الورم .

● ونضح فى وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء ، فما كان يُعرف فى وجه امرأة من الجمال ما كان بها .

● ومسح على رأس صبى به عاهة - يعنى قرعاً - فبرأ واستوى شعره . وكذلك مسح على غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرأوا . ولأجل هذا قال طاوس : لم يؤت النبى ﷺ بأحد به جنون فصك فى صدره ، إلا ذهب ذلك الجنون .

● وأتاه رجل آدر ، فأمره أن ينضحها بماء من عس ، مجَّ فيه ، ففعل فبرأ .

● ومن ذلك خبره المشهور عن تراب يوم حنين ، وذلك أنه لما اشتد القتال بينه وبين الكفار ذلك اليوم ، أخذ غرفة من تراب ، ورمى بها وجوه الكفار وقال : « شاهت الوجوه » ، فما بقى منهم أحد إلا أصاب من عينيه من ذلك التراب ، فهزمهم الله ، ورجعوا على أعقابهم يمسحون عن أعينهم .

● ومن ذلك الخبر المشهور عن أبى هريرة : أنه كان كثير النسيان ، فأمره ببسط ثوبه ، فغرف بيده ، ثم أمره بضمه ، ففعل ، فما نسى شيئاً بعد [1] .

* * *

● استجابة اللّه لدعائه صلى اللّه عليه وسلم :

والأخبار فى هذا الباب أكثر من أن يُحاط بها ، ولو لم يثبت لرسول اللّه ﷺ من الآيات إلا ما ثبت فيه ، لكان فى ذلك أعظم دليل على صدق رسالته وصحة نبوته ، فقد كان دعاؤه - صلى اللّه عليه وسلم - عند اللّه مسموعاً ، وكان مقامه عند اللّه مقاماً كريماً مرفوعاً ..

وذلك أنه - صلى اللّه عليه وسلم - كان كلما دعا اللّه فى شئ أجابه فيه ، وظهرت بركة دعوته على المدعو له وعلى أهله وبنيه ، حتى كان حذيفة يقول : كان رسول اللّه ﷺ إذا دعا لأحد أدركته الدعوة وولد ولده .

● ومن ذلك : ما رواه أنس بن مالك قال : قالت أمى : يا رسول اللّه ، خادمك أنس ، ادع اللّه له فقال : « اللّهم أكثِر ماله وولده وبَارِك له فيه » . قال أنس حين حدّث بهذا الحديث : فواللّه إنّ مالى كثير ، وإنّ ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم .

وفى رواية أخرى عنه أنه قال : وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت ، ولقد دفنتُ بيدىّ هاتين مائة من ولدى ، لا أقول سقطاً ولا ولد ولد .

● ومنه : دعائه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ، قال عبد الرحمن : فلو رفعتُ حجراً لرجوتُ أن أصيب تحته ذهباً ، وفتح اللّه عليه ، ومات فحفر الذهب من تركته بالفئوس حتى مجلت الأيدى ، وأخذت كل زوجة من زوجاته : ثمانون ألفاً - وكن أربعاً .

---

(١) الإعلام للقرطبى ص . ٣٧ وما بعدها .

وقيل : بل صولحت إحداهن لأنه طلّقها فى مرضه على نيف وثمانين ألفاً ، وأوصى بخمسين ألفاً ، وهذا كله بعد صدقاته ، الفاشية فى حياته ، وعوارفه العظيمة .. أعتق يوماً ثلاثين عبداً ، ووردت له مرة عير له فيها سبعمائة بعير ، تحمل من كل شئ فتصدّق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها .

● ومن ذلك : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - لمعاوية بالتمكين فى البلاد ، فنال الخلافة .

● ومنه : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - لسعد بن أبى وقاص بأن يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحد ، أو لأحد ، إلا استجيب له .

● ومنه : دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - حيث قال : « اللّهم أعز الإسلام بأحد الرجلين : بعمر بن الخطاب ، أو بأبى جهل بن هشام » ، فأجاب الله دعوته فى عمر بن الخطاب ، ولذلك قال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ابن الخطاب .

● وأصاب الناس عطش شديد ، فى سفر من أسفاره ، فدعا الله فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم .

● ومن ذلك حديث الاستسقاء ، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو يوم الجمعة يخطب ، إذ دخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، قد هلكت الأموال وانقطعت السُّبُل ، وهلكت المواشى ، فادع الله أن يغيثنا ، فقال النبى ﷺ : « اللّهم أغثنا ، اللّهم أغثنا ، اللّهم أغثنا » قال : فأنشأت سحابة مثل الترس ، ثم انتشرت .

قال راويه : فلا واللهِ ما رأينا الشمس سبعاً - يعنى أسبوعاً .

ثم دخل أعرابى فى الجمعة المقبلة فقال : يا رسول الله ، هلكت المواشى وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا . فقال رسول الله ﷺ : « اللّهم على الآكام والظراب ، ومنابت الشجر » . قال : فانجابت السجابة عن المدينة انجياب الثوب ، فخرجنا نمشى .

● ومن ذلك أنه - صلى الله عليه وسلم - قال للنابغة الجعدى : « لا يفضض الله فاك » ، فما سقطت له سن حتى مات .

وفى رواية : كان أحسن الناس ثغراً ، إذا سقطت له سن نبتت له أخرى ، وعاش عشرين ومائة .

● وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلّمه التأويل » ، فكان بحر الفقه وترجمان القرآن .

● ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه ، فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه .

● ودعا للمقداد بن الأسود بالبركة ، فكان عنده غرائر من المال .

● ودعا لعروة بن أبى الجعد فقال : لقد كنت أقدم بـ « الكياسة » - سوق لهم - فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً .

وقال البخارى : فكان لو اشترى التراب ربح فيه ، وندت له ناقة ، فدعا ربه أن يردها عليه فجاء بها أعصار ريح حتى ردها عليه .

● ودعا لأم أبى هريرة فأسلمت .

● ودعا لعلىّ بن أبى طالب أن يُكْفَى ألم الحر والبرد ، فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف ، وفى الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصيبه حر ولا برد .

● وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال : « اللهم نوِّر له » ، فسطع له نور بين عينيه فقال : يارب ، أخاف أن يقولوا : إنها مُثْلة ، فتحوّل إلى طرف سوطه ، فكان يضئ فى الليل المظلمة فسمى ذا النور .

● ودعا على مضر بالقحط فأقحطوا حتى أكلوا الجلود والعظام ، حتى استعطفته قريش ، فدعا لهم فسقوا .

● ودعا على كسرى حين مزّق كتابه بأن يُمَزَّق ملكه ، فلم تبق له باقية .

● وقال لرجل رآه يأكل بشماله : « كُلْ بيمينك » ، فقال : لا أستطيع . فقال له : « لا استطعتَ » ، فلم يرفعها إلى فيه بعد .

● وقال لعقبة بن أبى لهب : « اللّهم سلّط عليه كلباً من كلابك » ، فأكله الأسد .

● ومن ذلك حديثه المشهور مع ملأ قريش ، وذلك أنه - صلى اللّه عليه وسلم - بينما هو ساجد بإزاء الكعبة إذ ألقت قريش على ظهره فرثاً ودماً وسلا جزور نحرت ، فقال : « اللّهم عليك بهم » ثم سماهم واحداً واحداً ، فكان مَن سمى قتلى يوم بدر .

● ودعا على الحكم بن أبى العاص ، وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبى ﷺ فقال رسول اللّه ﷺ : « كذلك » ، فلم يزل يختلج إلى أن مات .

● ودعا على غلم بن جثامة ، فلفظته الأرض ، فوورى ، فلفظته الأرض ، ثم وورى فلفظته الأرض مراراً ، فألقوه بين ضدين - يريد جانبى الوادى - ورضوا عليه بالحجارة .. وقد تقدم ذكر قصته .

● وباعه رجل فرساً فجحده ، فقال : « اللّهم إن كان كاذباً فلا تبارك له فيه » فأصبحت شاصية - يريد رافعة برجلها - يقول : ماتت [1] .

* * *

● معجزات للرسول ﷺ فى الهجرة :

أما عن معجزاته - صلى اللّه عليه وسلم الحسيَّة ، فقد وقعت فى حادثة الهجرة - وحدها - خمس معجزات .

الأولى : عندما اجتمع النفر من مشركى قريش حول بيته - صلى اللّه عليه وسلم - يتطلعون من صير الباب ، ويرصدونه ، ويأتمرون أيهم يحمل على المضطجع صاحب الفراش . فخرج رسول اللّه ﷺ عليهم وهم جلوس على الباب ،

---

(١) الإعلام للقرطبى ص ٣٦٧ وما بعدها .

فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرها على رؤوسهم ويتلو : ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ حتى بلغ : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ، ومضى رسول الله ﷺ فقال قائل منهم : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمداً ، قال : خبتم وخسرتم ، قد والله مرَّ بكم وذرَّ على رؤوسكم التراب ، قالوا : والله ما أبصرناه ، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم (٢) .

والثانية : عندما أوى النبى ﷺ وصاحبه إلى الغار ، فأمر اللهُ تعالى شجرةً فنبتت فى وجهه فسترته ، وأمر العنكبوتَ فنسجت على وجهه فسترته ، وأمر الحمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار ، وأقبل فتيان من قريش من كل بطن رجل بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من النبى ﷺ قدر أربعين ذراعاً نظر أولهم فرأى حمامتين فرجع فقال له أصحابه : مالك لم تنظر فى الغار ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفتُ أنْ ليس فيه أحد ، وقال بعضهم : إنَّ عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ، فانصرفوا (٣) .

والثالثة : عندما سار أبو بكر رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ إلى الغار ، فلما انتهيا إليه قال : والله لا تدخله حتى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شئ أصابنى دونك ، قال : فدخل فكسحه ، فوجد فيه ثُقُباً ، فشق إزاره وسدها به ، فبقى منها اثنان فألقمهما رجليه ، ثم قال لرسول الله ﷺ : ادخل ، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه فى حجره ونام ، فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ، ولم يتحرك رضى الله عنه مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال : « مالك يا أبا بكر » ؟ قال : لُدِغتُ ، فداك أبى وأمى . فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب عنه ما يجده . قال : ثم انتقض عليه ، وكان سبب موته رضى الله عنه (٤) .

والرابعة : عندما أدرك سراقة بن مالك رسول الله ﷺ وصاحبه فى طريقهما

---

(١) يس : ١ - ١٠ .
(٢) رواه ابن سعد فى الطبقات .
(٣) المرجع السابق .
(٤) من حديث أخرجه النسائى .

إلى المدينة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ، فقال : « لا تحزن ، إنَّ الله معنا » ، حتى إذا دنا منهما فكان بينهما وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قال : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ، وبكى ، قال : « لِمَ تبكى » ؟ قال : أما والله ما على نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك ، قال : فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال : « اللهم اكفناه بما شئتَ » ، فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ، ووثب منها وقال : يا محمد ، قد علمتُ أنَّ هذا عملك ، فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأغمينَّ على مَن ورائى من الطلب ، وهذه كنانتى فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لى فيها » قال : ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ، فرجع إلى أصحابه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه حتى قدما المدينة (١) .

والخامسة : لما هاجر - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى ، فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة جلدة برزة ، تحتبى وتقعد بفناء الخيمة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمراً أو لحماً يشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وإذا القوم مرملون مسنتون ، فقالت : والله لو كان عندنا شئ ما أعوزكم القرَى ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة فقال : « ما هذه الشاة يا أم معبد » ؟ قالت : هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : « هل بها من لبن » ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : « أتأذنين لى أن أحلبها » ؟ قالت: نعم بأبى أنت وأمى ، إن رأيتَ بها حلباً !

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : « اللهم بارك لها فى شاتها » . قال : فتفاجت ودرَّت واجترت ، فدعا بإناء لها يُربض الرهط ، فحلب فيه ثجاً حتى غلبه الثمال ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى

---

(١) من حديث رواه أحمد فى المسند (٣) .

أصحابه حتى رووا ، وشرب هو آخرهم وقال : « ساقى القوم آخرهم » فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل حتى أراضوا ، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها [١] .

* * *

● معجزات أخرى للرسول ﷺ فى بعض غزواته :

كما وقع الكثير من المعجزات فى غزوات الرسول ﷺ نذكر منها :

أولاً - نزول الملائكة يوم بدر :

● روى أبو يعلى عن علىّ كرّم الله وجهه قال : « كنت أسبح على القليب يوم بدر ، فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى ، فنزل ميكائيل فى ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر ، وإسرافيل فى ألف فى الميسرة وأنا فيها ، وجبريل فى ألف ، قال : وقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطى » [٢] .

● وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس : أقدم حيزوم ، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو خطم وشق وجهه بضربة السوط ، وحضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدّث ذاك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » [٣] .

● وروى ابن إسحاق عن ابن عباس عن رجل من بنى غفار قال : حضرتُ أنا وابن عم لى بدراً ، ونحن على شركنا ، وإنّا لفى جبل ننتظر الوقعة على مَن تكون الدائرة ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمحمة الخيل ،

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ٢٧٩/٣

(٣) المرجع السابق : ٢٧٩/٣

وسمعنا قائلاً يقول : أقدم حيزوم ، فأما صاحبى فأنكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا لكدت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك [١] .

● وقال ابن إسحاق : كان السائب بن أبى حبيش يحدّث فى زمن عمر يقول : واللّه ما أسرنى أحد من الناس ، فيقال : فمَن ؟ يقول : لما انهزمت قريش انهزمتُ معها فأدركنى رجل أشعر طويل على فرس أبيض فأوثقنى رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى مربوطاً فنادى فى العسكر : مَن أسر هذا ؟ حتى انتهى بى إلى رسول اللّه ﷺ فقال : « مَن أسرك » ؟ فقلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذى رأيت فقال رسول اللّه ﷺ : « أسرك مَلَكٌ من الملائكة ، اذهب يابن عوف بأسيرك » [٢] .

ويقول اللّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ ، إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [٣] .

ويقول جَلّ شأنه : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ، فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [٤] .

● وروى البيهقى : أن إبليس جاء فى جند من الشياطين ومعه ذريته وهم فى صورة رجال من بنى مدلج ، والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جارٌ لكم » ، فلما اصطف الناس قال أبو جهل : اللّهم أولانا بالحق فانصره ، ورفع رسول اللّه

---

(١) البداية والنهاية : ٣/ ٢٨٠

(٢) المرجع السابق : ٣/ ٢٨١

(٣) آل عمران : ١٢٣ - ١٢٥

(٤) الأنفال : ٤٨

صلى الله عليه وسلم يديه فقال : « يارب ، إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد فى الأرض أبداً » ، فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولّوا مدبرين ، وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه - وكانت يده فى يد رجل من المشركين - انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة ، أما زعمتَ أنك لنا جار ، قال : « إنى أرى ما لا ترون ، إنى أخاف الله ، والله شديد العقاب » ، وذلك حين رأى الملائكة [1] .

● وروى الطبرانى عن رفاعة بن رافع قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص إليه ، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز فى صدر الحارث ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه فى البحر ورفع يديه فقال : اللّهم إنى أسألك نظرتك إياى ، وخاف أن يخلص القتل إليه .

وأقبل أبو جهل فقال : يا معشر الناس ، لا يهولنكم خذلان سراقة بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل شيبة والوليد فإنهم قد عجلوا ، واللات والعُزّى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا ألفينّ منكم رجلاً قتل رجلاً ، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعُزّى [2] .

● وروى الواقدى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ، قال : سمعت نوفل بن معاوية الديلى يقول : انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصا فى الطاس فى أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشد الرعب علينا [3] .

● وروى السدى الكبير قال : قال رسول الله ﷺ لعلىّ يوم بدر : « أعطنى حصباء من الأرض » ، فناوله حصباء عليها تراب ، فرمى به فى وجوه القوم فلم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٢٨٣/٣ (٢) المرجع السابق : ٢٨٣/٣
(٣) نفس المرجع : ٢٨٣/٣

يبق مشرك إلا ودخل فى عينيه من ذلك التراب شئ ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله تعالى فى ذلك : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم : أن هذه الآية نزلت فى ذلك يوم بدر (٢) .

● وروى البيهقى عن عمر بن عثمان الخشنى عن أبيه عن عمته قالت : قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله ﷺ عوداً ، فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلتُ به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك (٣) .

● وروى الواقدى عن رجال من بنى عبد الأشهل عدة قالوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقى أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب (٤) فقال : « اضرب به » ، فإذا هو سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قُتِل يوم جسر أبى عبيدة (٥) .

*

ثانياً - يوم أُحُد :

● عن جابر بن عبد الله قال : إن قتادة بن عمر أصيبت عينه يوم أُحُد حتى سالت على خده ، فردها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن عينيه ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

---

(١) الأنفال : ١٧ (٢) البداية والنهاية : ٢٨٤/٣ (٣) المرجع السابق : ٢٩١/٣

(٤) عذق ابن طاب : نخل بالمدينة ، وابن طاب : ضرب من الرطب .

(٥) البداية والنهاية : ٢٩١/٣

ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : مَن أنت ؟ فقال له مرتجلاً :

أنا ابنُ الذى سالت على الخدِّ عينُه ... فـُردت بكفِّ المصطفـى أحسنَ رد

فعـادتْ كمـا كـانت لأولِ أمرها ... فيا حُسْنَها عيناً ويا حُسْـنَ ما خدّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تلك المكـارمُ لا قَيعـانِ من لبنٍ ... شِـيبا بمـاءٍ فعادا بعدُ أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته .. رضى الله عنه [1] .

*

ثالثاً - يوم الخندق (الأحزاب) :

● روى البيهقى عن عازب الأنصارى قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها أخذ المعول وقال : « بسم الله » ، وضرب ضربة تكسر ثلثها وقال : « الله أكبر ، أعطيتُ مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله » ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : « الله أكبر ، أعطيتُ مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض » ، ثم ضرب الثالثة فقال : « بسم الله » ، فقطع بقية الحجر فقال : « الله أكبر ، أعطيتُ مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة » [2] .

---

(١) البداية والنهاية : ٣٣/٤ ، ويشير عمر رضى الله عنه بقوله : « لا قيعان من لبن شيبت بماء » إلى قصة اللبن المشهورة عندما رفضت جدته مزج اللبن بالماء فزوّجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ابنه ، يريد أن مكرمة رض العين أفضل من مكرمة اللبن .

(٢) المرجع السابق : ١٠١/٤

يقول عمرو بن عوف : إنه مع كل ضربة كانت تبرق برقة تضئ ما بين لابتى المدينة حتى كأنها مصباح فى جوف ليل مظلم .

ويقول عبد الله بن عمرو : إنه كانت تُسمع فى كل ضربة هدّة لم يُسمع مثلها قط . وفى هذه الواقعة نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ (١) ، وذلك أن المسلمين استبشروا وقالوا : الحمد لله ، موعود صادق .

ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾ (٢) .

وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تُفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا ! (٣) .

● وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود ، وأبو سفيان ومَن معه فوقنا ، وقريظة واليهود أسفل منا ، نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها ، فى أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهى ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبى ﷺ ويقولون : إن بيوتنا عورة ، وما هى بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علىّ ، وما علىّ جُنَّةٌ من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى .

قال : فأتانى وأنا جاث على ركبتى فقال : « مَن هذا » ؟ فقلت : حذيفة ، فقال : « حذيفة » ؟ فتقاصرت للأرض فقلت : بلى يا رسول الله ، - كراهية أن

---

(١) الأحزاب : ١٢ (٢) الأحزاب : ٢٢ (٣) البداية والنهاية : ٤/ ١٠٠

أقوم - فقمت فقال : « إنه كائن فى القوم خبر ، فأتنى بخبر القوم » . قال : وأما من أشد الناس فزعاً وأشدهم قراً .

قال : فخرجتُ فقال رسول اللّه ﷺ : « اللّهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » .

قال : فواللّه ، ما خلق اللّه فزعاً ، ولا قراً فى جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئاً .

قال : فلما وليتُ قال : « يا حذيفة ، لا تُحْدِثن فى القوم شيئاً حتى تأتينى » ، قال : فخرجتُ حتى إذا دنوتُ من عسكر القوم نظرتُ ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل ، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعتُ سهماً من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به فى ضوء النار ، فذكرتُ قول رسول اللّه ﷺ : « لا تُحْدِثن فيهم شيئاً حتى تأتينى » ، فأمسكتُ ورددتُ سهمى إلى كنانتى .

ثم إنى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر ، الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم .

وإذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فواللّه إنى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفُرُشهم الريح تضرب بها ، حتى إنى خرجتُ نحو رسول اللّه ﷺ ، فلما انتصف بى الطريق - أو نحو من ذلك - إذا أنا بنحو من عشرين فارساً - أو نحو ذلك - معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أنّ اللّه كفاه .

قال : فرجعتُ إلى رسول اللّه ﷺ وهو مشتمل فى شملة يصلى ، فواللّه ما عدا أن رجعتُ راجعنى القَر وجعلت أقرقف ، فأومأ إلىّ رسول اللّه ﷺ بيده وهو يصلى فدنوتُ منه فأسبل علىّ شملته ، وكان رسول اللّه ﷺ إذا حزبه أمر صلّى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم يرحلون .

قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا .. ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾ [1] ، أى : صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة التى بعثها الله إليهم ، ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ ، أى لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم ، بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته [2] .

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شئ بعده » .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم ، وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين - كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله - فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله ﷺ : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم » قال : فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة [3] .

*

رابعاً - يوم حنين (هوازن) :

وفى غزوة حنين أنزل الله الملائكة لنُصرة المسلمين ، يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ

---

(١) الأحزاب : ٩ - ٢٥ (٢) البداية والنهاية : ٤/١١٤

(٣) المرجع السابق : ٤/١١٥

أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

● روى ابن إسحاق أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ، ما شأنكم ؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ، فواللّه ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى (٢) .

● ولما انهزم المسلمون يوم حنين وولوا مدبرين ، جعل رسول اللّه ﷺ يقول : « يا عباد اللّه ، أنا عبد اللّه ورسوله » ، واقتحم رسول اللّه ﷺ عن فرسه ، وأخذ حفنة من التراب فحثى بها وجوه العدو وقال : « شاهت الوجوه » .

قال يعلىّ بن عطاء : فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقى أحد إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد ، فهزمهم اللّه عَزَّ وجَلَّ (٣) .

● وعن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجتُ مع رسول اللّه ﷺ يوم حنين ، واللّه ما أخرجنى إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيتُ أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقف معه : يا رسول اللّه ، إنى أرى خيلاً بُلقاً ، قال : « يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافر » ، فضرب يده فى صدرى ثم قال : « اللّهم أهد شيبة » ، ثم ضرب الثانية فقال : « اللّهم أهد شيبة » ، ثم ضربها الثالثة ثم قال : « اللّهم أهد شيبة » . قال : فواللّه ما رفع يده عن صدرى فى الثالثة حتى ما كان أحد من خلق اللّه أحب إلىّ منه (٤) .

● وعن شيبة بن عثمان قال : رأيت رسول اللّه ﷺ يوم حنين قد عرى ، ذكرت أبى وعمى وقتل علىّ وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأرى من محمد (صلى اللّه عليه وسلم) قال : فذهبت لأجيئه من خلفه ، قال : فلما

---

(١) التوبة : ٢٥ - ٢٦
(٢) البداية والنهاية : ٣٣٢/٤
(٣) المرجع السابق : ٣٣٢/٤
(٤) نفس المرجع : ٣٣٣/٤

دنوت منه ، ارتفع إلىَّ شواظ من نار ، أسرع من البرق ، فوليتُ هارباً وأحس بى النبى ﷺ فدعانى ، فوضع يده على صدرى ، وهو أبغض الخلق إلىَّ ، فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلىَّ .

*

خامساً - غزوة نجد (ذات الرقاع) :

● روى محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف ، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضى وجعلتُ أتخلفُ حتى أدركنى رسول الله ﷺ فقال : « مالك يا جابر » ؟ قلت : يا رسول الله ، أبطأ بى جملى هذا ، قال : « أنخه » ، قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطنى هذه العصا من يدك » - أو اقطع عصا من شجرة - ففعلت ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال : « اركب » ، فركبت فخرج - والذى بعثه بالحق - يواهق ناقته مواهقة [1] .

* * *

● عصمة الله له ممن أراد كيده :

صحت الآيات وثبتت الطرق أن رسول الله ﷺ كان يُحرس ممن يريد ضره لكثرة أعدائه ولطلبهم غرته ، حتى نزل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [2] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة وقال لحارسيه : « يا أيها الناس ، انصرفوا فقد عصمنى ربى » ، فلم يقدر أحد أن يصيب منه مقتلاً ، مع حرصهم على ذلك .

● ومن ذلك ما صح أن النبى ﷺ نزل منزلاً فى بعض غزواته ، فقالَ (أى نام) تحت شجرة ، فأتاه أعرابى فاخترط سيفه فقال : مَن يمنعك منى ؟ فقال :

---

(١) البداية والنهاية : ٨٦/٤ (٢) المائدة : ٦٧

« اللّه » ، فرعدت يد الأعرابى ، وسقط سيفه من يده ، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه .

● واتفق مثل هذه القصة لغورث بن الحارث فى غزوة ذات الرقاع ، فعن جابر بن عبد اللّه أنه غزا مع رسول اللّه ﷺ غزوة نجد (ذات الرقاع) ، فلما قفل رسول اللّه ﷺ أدركته القائلة فى واد كثير العضاة ، فتفرق الناس يستظلون بالشجر ، وكان رسول اللّه ﷺ تحت ظل شجرة فعلّق بها سيفه .

قال جابر : فنمنا نومة فإذا رسول اللّه ﷺ يدعونا فأجبناه ، وإذا عنده أعرابى جالس ، فقال رسول اللّه ﷺ : « إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظتُ وهو فى يده صلتاً فقال : مَن يمنعك منى ؟ قلت : اللّه » .

وفى رواية : أن السيف سقط من يده ، فأخذه رسول اللّه ﷺ وقال : « مَن يمنعك منى » ؟ قال : كن خير آخذ ، قال : « تشهد أنْ لا إله إلا اللّه » ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله فأتى أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس .. واسم هذا الرجل « غورث بن الحارث » [1] .

وكذلك وقع مثل هذه القصة بـ « ذى أمر » لدغشور بن الحرث ، وكان ذا نجدة وجرأة ، فلما رجع إلى قومه قالوا : أين ما كنت تقول ، وقد أمكنك ؟ فقال : إنى نظرتُ إلى رجل أبيض طويل ، دفع فى صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف من يدى ، فعرفتُ أنه مَلَك ، وفيه أنزل اللّه عَزَّ وجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ ... الآية [2] .

● وكانت أم جميل - حمّالة الحطب - تضع الشوك فى طريق رسول اللّه ﷺ فكأنما يطأ كثيباً أهيل - يريد سهلاً - ولما أنزل اللّه عَزَّ وجَلَّ فيها وفى زوجها :

---

(١) البداية والنهاية : ٤/٨٤ (٢) المائدة : ١١

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [1] .... إلى آخر السورة ، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، ومعه أبو بكر ، وفى يدها فهر [2] من حجارة ، فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر ، وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفهر فاه [3] .

● ومن ذلك ما حدَّث به الحكم بن أبى العاص قال : تواعدنا على أن نقتل محمداً حتى جئناه ، فلما رأيناه سمعنا صوتاً خلفنا ما ظننا أنه بقى بتهامة أحداً ، فوقعنا مغشياً علينا ، حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه .

● ومن ذلك القصة المشهورة التى تؤذن بالكفاية التامة ، وذلك أن قريشاً اجتمعت على قتله ، وبيَّتوا ليدخلوا عليه بيته ، فعلم بهم ، فقال لعلىّ كرَّم الله وجهه : « تحوَّل على فراشى » ففعل ، ثم خرج عليهم وذرَّ التراب على رؤوسهم فلم يروه ، حتى دخلوا البيت فوجدوا علياً على فراشه ، فقالوا له : أين صاحبك ؟ فقال لهم : قد خرج عليكم ، وقد جعل التراب على رؤوسكم ، فمدَّ كل واحد منهم يده على رأسه - فوجد التراب على رأسه - وقد مضى ذكره فى قصة الهجرة .

وقيل : إن فى هذه القصة نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [4] .

● ومن ذلك ما رواه عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، قال : قدم رجل من أراش بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الأراشى حتى وقف على ناد من قريش ، ورسول الله ﷺ ناحية المجلس جالس ،

---

(١) سورة المسد .
(٢) حجر على مقدار ملء الكف .
(٣) رواه ابن هشام فى السيرة .
(٤) الأنفال : ٣٠ .

فقال : يا معشر قريش ، مَن رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام ، فإنى رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى ؟

قال : فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس - لرسول الله ﷺ وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبى جهل من العداوة - اذهب إليه فإنه يؤديك عليه .

فأقبل الأراشى حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا عبد الله ، إنَّ أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قِبَله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألتُ هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه (أى يأخذ لى حقى منه) ، فأشاروا لى إليك ، فخذ لى حقى منه ، يرحمك الله .

قال : « انطلق إليه » . وقام معه رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قام معه ، قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله ﷺ فضرب عليه بابه فقال : مَن هذا ؟ قال : « محمد ، فاخرج إلىّ » ، فخرج إليه وما فى وجهه من رائحة قد انتقع لونه ، فقال : « أعط هذا الرجل حقه » . قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له .

قال : فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للأراشى : « الحق بشأنك » . فأقبل الأراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حقى .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟

قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال له : « أعط هذا حقه » ، قال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه .

قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا له ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب علىّ بابى وسمعتُ صوته ، فملئتُ رعباً ، ثم خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ، ما رأيت

مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، واللّه لو أبَيْتُ لأكلنى . فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » .

● وكذلك أخذ أبو جهل - لعنه اللّه - صخرة ليطرحها على النبى ﷺ ، وهو ساجد وقريش ينظرون ، فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه ، فرجع القهقرى ورآه ثم سأل أن يدعو له ففعل ، فانطلقت يداه .

● ومرَّ بنا أن أبا جهل تواعد مرة أخرى مع قريش لئن رأى محمداً ﷺ يصلى ليطأن رقبته ، فلما دخل النبى ﷺ فى الصلاة أعلموه ، فأقبل نحوه ، فلما قرب منه ولّى هارباً ناكصاً على عقبية متقياً بيديه ، فسئل عن ذلك فقال : لما دنوتُ منه ، أشرفتُ على خندق مملوء ناراً كدت أهوى فيه ، وأبصرتُ هولاً عظيماً وخفق أجنحة قد ملأت الأرض . فقال صلى اللّه عليه وسلم : « تلك الملائكة ، لو دنى لاختطفته عضواً عضواً ، فأنزل اللّه تعالى على نبيه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ ... إلى آخر السورة [1] .

● ومن ذلك ما رواه فضالة بن عبيد قال : أردتُ قتل النبى ﷺ ، وهو يطوف بالبيت ، فلما دنوتُ منه قال : « أفضالة » ؟ قلت : نعم ، قال : « ما كنتَ تحدث به نفسك » ؟ قلت : لا شئ ، فضحك واستغفر لى ، ووضع يده على صدرى فسكن قلبى ، فواللّه ما رفعها حتى ما خلق اللّه شيئاً أحب إلىَّ منه .

● ومن ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ، وذلك أنهما وفدا على رسول اللّه ﷺ ليقتلاه ، فقال عامر لأربد : أنا أشغل عنك وجه محمد ، فاضرب أنت . فلم يفعل أربد من ذلك شيئاً ، فلما كلّمه عامر فى ذلك قال له : واللّه ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بينى وبينه ، أفأضربك ؟!

---

(١) العلق : ٦ - ٧

● ومن ذلك الخبر المشهور ، خبر سراقة بن مالك ، وقد مرَّ ذكره فى الحديث عن الهجرة .

* *

يقول الإمام القرطبى [1] : « .. والأخبار فى هذا كثيرة ، والحكايات صحاح شهيرة ، لا يمكن جحدها ، ولا ينكر حصول العلم عندها ، بل كلها تدل على صحة نبوته ، وتصديق شريعته ، وأنه كما قال اللّه عَزَّ وجَلَّ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [2] .

ومعجزاته صلى اللّه عليه وسلم أكثر من أن يحيط بها هذا الكتاب ، أو تدخل تحت عد وحساب ، وعند الوقوف على ما تضمنته العقول المتقدمة ، والأبواب السابقة ، يحصل العلم الضرورى بصدقه فى رسالته ، وبوجوب اتباع شريعته ، ومنكر ذلك معاند متواقح جاحد ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [3] .

ثم يقول : « فإن قال قائل من النصارى والمخالفين لنا : ما ذكرتموه من معجزات نبيكم إنما يثبت عندكم من أخبار الآحاد ، وهى وإن كانت صحاحاً فلا يحصل بها العلم - كما كنتم قدمتم - بحيث تكلمتم مع النصارى حين استدلوا على إثبات نبوة مسيحهم .

فإنكم قلتم : لا نقبل فى هذا الموضع خبر مَن تجوِّز العادة عليه الكذب والغلط ، وإنما نقبل فيها : خبر مَن لا تجوِّز عليهم العادة الكذب والغلط ، وهو الخبر المتواتر .. ثم إنكم قبلتم هنا أخبار مَن تجوِّز العادة عليهم الغلط والكذب ، وهى أخبار الآحاد ، فقد خالفتم ما أصَّلتم ، وقبلتم عَيْن ما أنكرتم .

---

(١) انظر الإعلام - للإمام القرطبى - مرجع سابق - ص ٣٧٩ وما بعدها .

(٢) آل عمران : ١٤٤ (٣) الشعراء : ٢٢٧

قلنا فى الجواب عن ذلك : اعلم أيها المعترض ، أنّا لم نقبل فى هذا الباب إلا الأخبار المتواترة التى يحصل العلم بها ، لكن ينبغى أن تعلم أن المتواتر ضربان :

ضرب يتواتر لفظه ومعناه ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

فإنّ هذا اللفظ نعلم قطعاً ويقيناً : أن نبينا محمداً ﷺ قاله ، كما تلوناه من غير زيادة ولا نقصان ، إذ قد نقله عنه الجم الغفير عن الجم الغفير ، فلا يتطرق إليه وجه من وجوه الشك ، فلا يقدر أحد أن يتشكك فى لفظه ولا فى معناه ، وكثير من معجزات النبى ﷺ المتقدمة الذكر من هذا القبيل ، فهذا هو الضرب الأول .

وأما الضرب الآخر ، وهو متواتر معناه دون لفظه ، فيحصل العلم أيضاً بذلك المعنى . وذلك مثل أن تتوارد روايات كثيرة من أخبار الآحاد الصحاح على معنى واحد بألفاظ متغايرة وحكايات مختلفة . مثال ذلك : أنّا نجد من أنفسنا علماً قطعياً بشجاعة علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه . فإذا نظرنا فى الخبر الذى حصل لنا العلم بشجاعته ، لم نجده خبراً واحداً متواتراً ، وإنما وجدناه جملة أخبار آحاد تواردت على معنى واحد وهو الشجاعة . فتسمع عنه يوماً أنه فعل يوم خيبركذا ، وفعل يوم حنين كذا ، ويوم صفين كذا ، ويوم الجمل كذا ... فلا تزال أخبار الآحاد تكثر حتى يضطر السامع إلى العلم بمخبرها ، ولا يقدر على تشكيك نفسه فى شئ منها ، وهذا مسلك فى تحصيل العلم إذا تفقده العاقل المنصف من نفسه وجده مفيداً للعلم ، ومحصلاً له ضرورة ، ومَن أنكر حصول العلم منه كان منكراً لما هو ضرورى .

فإذا ثبت هذا .. قلنا بعده : إن ما نقلناه من معجزات نبينا عليه السلام ، منها ما تواتر لفظه ومعناه كانشقاق القمر وغيره ، ومنها ما تواتر معناه - وهو

---

(١) آل عمران : ٨٥

أكثر ما احتوت عليه الفصول المتقدمة - وذلك أنَّ كل فصل منها اشتمل على معنى واحد وكثرت الأخبار عن ذلك المعنى ، حتى اضطر الواقف عليها إلى العلم بمعناها ، وذلك مثل نبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الماء القليل ، والطعام القليل ... إلى غير ذلك من الفصول ، فكل فصل منها قد تواتر معناه وإن لم تتواتر آحاد ألفاظه .

ثم هذه الفصول بجملتها يحصل منها العلم القطعى واليقين الضرورى : بأنَّ محمداً ﷺ كانت العادات تنخرق على يديه معجزة له ، إذ قد تواردت جميع أخبار هذه الفصول على هذا المعنى .

فحصل من هذا : أنَّا لم نستدل على إثبات نبوة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) بأخبار الآحاد ، وإنما استدللنا على ذلك بالأخبار المتواترة المحصلة للعلم .. والحمد لله .

والنصارى فيما أوردوا لم يستدلوا هكذا ، ولا عندهم علم من هذا ، وكفى أنهم فى ضلالتهم يعمهون ، وفى شكهم يترددن .

عصمنا الله من الخطأ والزلل ، فى القول والعلم ، بكرمه وجوده » ا هـ .

* * *

ونقول نحن :

« إنَّ فيما نقلناه من كلام الإمام القرطبى - بنصه - آنفاً ، الجواب الوافى والرد الكافى على الذين ينكرون وجود المعجزات الحسيَّة للرسول ﷺ بحجة أنها أحاديث آحاد » .

* * *